القدس مدينه الله

تأليف

الدكتور يونس عمرو

عميد البحث العلمي
في
جامعة الخليل

الطبعة الثانية

١٥ جمادى الاولى ١٤٠٧هـ ـ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٧م

منشورات مركز البحث العلمي في جامعة الخليل

HEBRON UNIVERSITY
RESEARCH CENTER

AL QUDS,
THE CITY OF GOD

BY

DR. YOUNIS AMR

January 1987

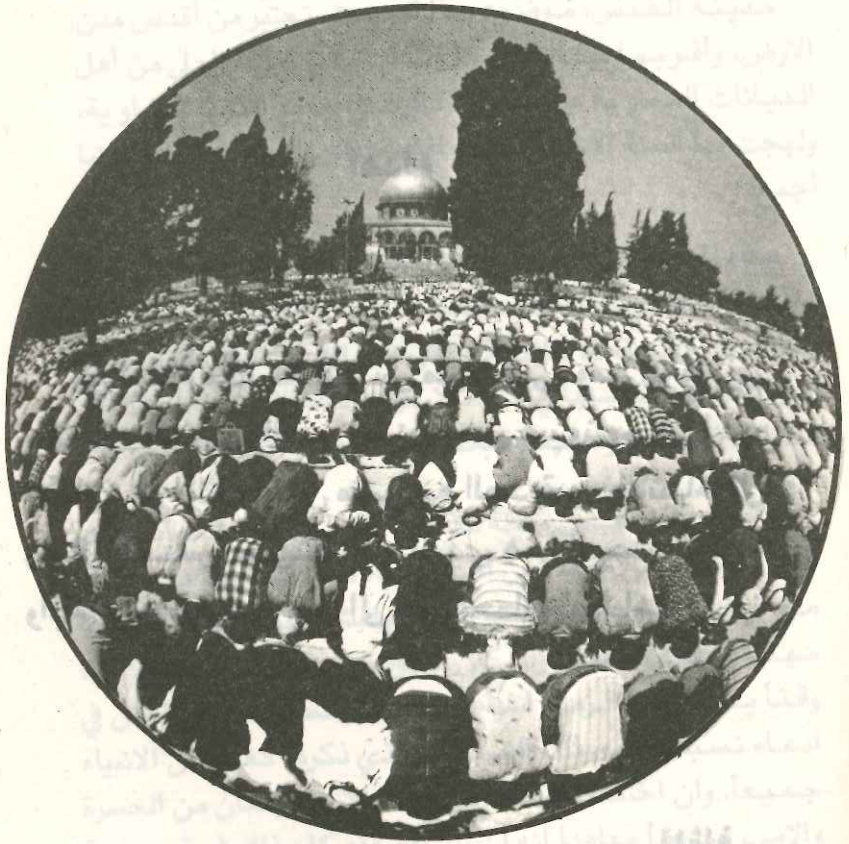

بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

الى ابناء مدينة القدس من شعبي، ومن رووا ثرى بلادي بالدمع والدم، ومن ترحل عيونهم اليها عبر الآفاق، الى اولئك الذين مضوا مع الصديقين والانبياء، الى رجال القدس مدينة الله أهدى هذا البحث، اجداداً وآباءاً وأحفاداً، من جيل الى جيل يحملون ذكراها

المؤلف

المقدمة

(أ)

مدينة القدس، موضوع هذا البحث، تعتبر من أقدس مدن الارض، وأقربها مكانة الى قلوب المؤمنين بالله العلي من أهل الديانات السماوية جميعاً، ولقد ذكرت في جميع الكتب السماوية، ولهجت بها السنة الانبياء، وهوت افئدة الناس اليها من اقطار الدنيا أجمع.

هذه المدينة التي راجت حولها ادعاءات واوصاف مختلفة، فمرة تنسب الى داود ومرة توصف بالمدينة الذهبية واخرى بالمدينة المتحف وهكذا، من الادعاءات بالملكية او الاوصاف التي تستوقف الناس من أهل المدينة ومقدسيها في انحاء الارض، بالتساؤلات حولها، بل انها تستوقف الباحثين وتحفزهم للبحث والتمحيص في هذا الامر.

إن مدينة القدس مدينة للقداسة والايمان منذ نشأتها، تعلقت بها قلوب الناس جميعاً من المتدينين بالاديان كافة، ولا يجوز لأحد من الخلق الادعاء بملكيتها او نسبتها لشخصية دينية او تاريخية مهما بلغت مكانتها. وان كان اليهود قد استغلوا وجود داود فيها وقتاً يسيراً من الزمن اسوأ استغلال، بل تحدوا مشاعر الناس في ادعاء نسبتها اليه، ذلك النبي الملك الذي ذكرها كغيره من الانبياء جميعاً، وان اختلف ذكره لها عن هؤلاء الانبياء بمعان من الحسرة والاسى، صارخاً معاهداً انه لن ينساها، فقد كان ذلك في وقت محنة قبل وبعد ثورة ابنه ابشالوم عليه، حين اضطر الى مغادرة المدينة هارباً من وجه ذلك الولد العاق. ولا نجانب الصواب ان قلنا: انه في بكائه وذكره للمدينة كان يبكي ملكاً ضاع منه، هذا الى جانب رغبته في الانتقام من هذا الولد المارق المتمرد ليس على الدين فحسب، بل

على الوالد النبي الملك، وهذا مما لا يجوز لا في شرع الاديان ولا في شرع الانسان. وجانب آخر لبكاء داود عليه السلام، نلاحظه من خلال النصوص، و يتمثل في الاعراب عن القصور والتهاون بشأن ملكه الذي وهبه الله اياه، فنراه يبتهل لله طالباً الصفح والغفران، وان يعيد له الكرة ليكون اكثر حرصاً وتمسكاً بهذا الملك. و يستجيب الله لابتهال داود عليه السلام، و يمكن له في الارض الى أن تنتهي دولته ودولة قومه من بعده، فكل شيء بقدر وقضاء، غير أن ما كان من ابتهال داود، بقي اليهود من بعده يرددونه و يبكون مجدا ضائعاً عبر العصور. ونحن كمتدينين لله جل شأنه على شريعة الاسلام، كما انني اتصور نفس الحال للمتدينين لله على نهج عيسى عليه السلام، نحن نفهم أن يردد اليهود ابتهالات داود عليه السلام، كنصوص مقدسة في حدود العبادة والتدين وتقديس النص المقدس بالقدر المطلوب للقيام بمهام العبادة وشعائرها، ولا نفهم أبداً ان تستغل ابتهالات ذلك النبي الملك الذي نقدسه ونكبره، في الدعوة الى تسلط نفر من اليهود كثروا او قلوا على أفئدة ابناء شريعتهم وتحريضهم على السيطرة على المدينة كلياً وعدم الاعتراف بمقدسات غيرهم فيها، بل ما شاهدنا من محاولات نسف هذه المقدسات ومسحها عن الوجود. ولتصديق ما ذهبنا اليه، فسوف نسوق نصوصاً من العهد القديم في حدود ما يخدم القول وما يتسع اليه المقام:

«إن نسيتك يا أورشليم تنسني يميني. ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك إن لم أفضل اورشليم على أعظم فرحي». (من المزمور ١٣٧: ٥، ٦).

ومن ابتهال داود عليه السلام قوله: «الذين يكلمونك بالمكر ناطقين بالكذب هم اعداؤك. الا أبغض مبغضيك يا رب وأمقت مقاوميك. بغضاً تاماً ابغضهم. صاروا لي أعداء. اختبرني يا الله واعرف قلبي امتحني واعرف افكاري. وانظر إن كان في طريق باطل واهدني طريقاً ابدياً.» (من المزمور ١٣٩: ٢٠-٢٣).

و يبتهل داود في الدعاء لله أن يحطم مبغضيه فيقول: «لا تعطيا رب شهوات الشرير. لا تنجح مقاصده». (من المزمور ١٤٠: ٨، ٩).

ولم يتوقف الامر عند الادعاء بملكية مدينة القدس ونسبتها الى داود عليه السلام، فقد نسبت مدينة الخليل هي الاخرى الى داود، هذه المدينة التي أقام فيها سبع سنوات ونصف حسب اشارة العهد القديم: «كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك وملك اربعين سنة. في حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة اشهر...» (صموئيل الثاني ٥: ٤، ٥). رغم ان عمر مدينة الخليل يزيد على الستة آلاف سنة، لا تشكل مدة اقامة داود فيها شيئاً يذكر، رغم ذلك نرى المدينة تنسب الى داود هي الاخرى[1]، دون الاستناد الى دليل غير روح الوهم القائمة على التعصب، والاستهانة بوجود الآخرين من سكان هذه البلاد ومشاعرهم.

لعل مثل هذه الادعاءات، شكلت الدافع الاول لانشاء هذا البحث فضلا عن الرغبة الملحة في أن ابرز مكانة هذه المدينة، مدينة القدس، على انها من أقدس مدن الدنيا، هذه المدينة التي يوم انشأها وسكنها اجدادنا اليبوسيون والكنعانيون، عبدوا الله العلي منها على ديانة نوح، وتوالت قداستها الى ايام ابراهيم عليه السلام، الذي جاء اليها فوجد أهلها ومليكهم يعبدون الله وذلك حسب رواية التوراة نفسها: «وملكي الصادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً. وكان كاهنا لله العلي. و باركه وقال مبارك ابراهيم من الله العلي مالك السموات والارض.» (سفر التكوين ١٤: ١٨، ١٩).

وتستمر قداسة المدينة وارتباطها بالله جل شأنه في دعوات سائر الانبياء والمرسلين من عهد ابراهيم عليه السلام، الى موسى وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام أجمعين، وختاماً بمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي أسراه الله اليها ليلا حسب ما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى: «سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو

السميع البصير». [٢]، حيث صعد صلى الله عليه وسلم الى السماء في المعراج، ذلك الحدث العظيم في منهج الدعوة الاسلامية، الذي ترك في نفوس المسلمين اعتقاداً بأن هذه المدينة، انما هي أقرب نقطة الى السماء.

إن معراج محمد صلى الله عليه وسلم الى السماء من بيت المقدس، لا يجوز أن يفهم على محمل مادي، و بنفس الدرجة من اعتقاد المسلمين بأن هذه المدينه هي أقرب بقعه من الارض الى السماء، بل يجب أن يفهم هذا على المحمل العقلي في مكمن الايمان، بعيداً عن التصور الذي لا يجوز الاخذ به في الامور الغيبية، لأن هذا الاخذ قد يجر صاحبه الى درك الضلال، لأن التصور الانساني قاصر بدرجة اعتماده على خبراته الحياتيه القاصره، وعليه فيجب فهم هذا على محمل التعقل الذي يقود الى التسليم والايمان، ومن ثم الى اعتبار هذه المدينه المقدسة أقرب بقعة في الارض الى الله جل شأنه، فاختارها منذ نشأتها مكاناً يعبده المؤمنون من عليه.

ثم تواصلت قداسة المدينة بارتباطها بقوافل الانبياء والرسل جميعاً عليهم افضل السلام، وذكرها في سائر الكتب السماو يه.

إن مكانة هذه المدينة التي لخصنا القول فيها والتي تتمتع بهذه المرتبه من القداسة والقرب الى الله - إن مدينه كهذه - حق لها أن تكون قدس الاقداس، بل حق لها ان تدعى مدينة الله، وهذا الذي وقع اختيارنا عليه عنواناً لهذا البحث.

ولما كانت المدينة، ومن واقع القناعة بأنها مدينة مقدسة، فلا يجوز لأحد أن يدعي التفرد بملكيتها أو نسبتها الى شخص أو آخر. بل انها مدينة الله، بمعنى انها مدينة لجميع المؤمنين بالله حق الايمان على شريعة الانبياء والرسل الذين اصطفاهم ربهم فحملوا رسالاتهم و بلغوا أماناتهم على خير وجه.

(ب)

إن مدينة القدس عاصمة فلسطين منذ القدم، وذلك بحكم موقعها في قلب هذه القطعة من بلاد الشام، التي تشكل القطاع الغربي مما يعرف ببلاد الهلال الخصيب. والحديث عن القدس، لابد أن يسبق بحديث عن البلاد التي تقوم عليها، بقدر يسير في حدود تخدم هذا البحث.

تشكل فلسطين الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام. و يمكن تحديدها فقط من ناحيتي الشرق والغرب. فيحدها غرباً البحر الابيض المتوسط الذي عرف في التاريخ القديم بأسماء منها البحر العظيم للشمس الغاربه، و بحر المشرق. كما يحدها من الشرق وادي الاردن الذي يبدأ من الشمال بمنابعه من البانياس، نزولا الى بحيرة الحوله[٣]، التي ترتفع حوالي (٢ر٥) متر عن سطح البحر ، ثم يواصل نهر الاردن سيره بعد الحولة مسافة (١٦)كم، حيث يدخل الى بحيرة طبريا[٤]، التي ترتفع عن سطح البحر حوالي (٢٢٥) متراً. ثم يواصل النهر جنو باً و بانحدار شديد مسافة (١٠٤) كم، حتى يصب في البحر الميت[٥]. الذي ينخفض عن سطح البحر بحوالي (٣٠٠) متر. ثم من بعد يأتي في الحدود الشرقية لفلسطين وادي عر به، الذي يصل بين جنوب البحر الميت وخليج العقبه.

على أن حدود فلسطين الجنو بية تنتهي باتصال منحرف بين الزاو ية الجنو بية الشرقية للبحر المتوسط وخليخ العقبة، غير ان الحدود الشمالية ليس من السهل تحديدها، وذلك لأن هذه البلاد بالاضافة الى لبنان، كانت في الاصل بلاد واحدة، تعرف ببلاد كنعان، ثم قسمت فسمي لبنان بهذا الاسم من المادة الكنعانية (ل ب ن) التي تدل على البياض لما يعتلي جباله من الثلوج، في حين سميت فلسطين بأرض كنعان، من المادة السامية التي ما زالت في اللغة

العربية (ك ن ع) والتي تدل على الانخفاض. وهذه المادة التي اشتق منها الاسم كنعان، كعلم على هذه البلاد، اي الارض المنخفضة[٦].

وهذا الاسم كنعان هو نفسه الذي نسب اليه الكنعانيون سكان البلاد الاصليين. وهذا خلافاً لما علل له الباحثون، من أن هذا الاسم، كاسم لشخصية من سلالة نوح، لم يذكر في قائمة الانساب الواردة في سفر التكوين في العهد القديم ضمن سلالة ابنه سام بل ضمن سلالة حام: «وهذه مواليد بني نوح، سام وحام و يافث، وولد لهم بنون بعد الطوفان. بنو يافث .....و بنو حام كوش ومصرايم وفوط وكنعان.... وسام ابو كل بني عابر أخو يافث الكبير ولد له أيضاً بنون. بنو سام عيلام وأشور وارفكشاد ولود وأرام[٧]».

علل الباحثون لهذا الامر بالاعتقاد بأن رد نسب الكنعانيين لحام وليس لسام كما ورد في هذا النص، بانحلال الرابطة التاريخية بين الكنعانيين والعبريين التي عفت آثارها منذ زمن بعيد من تاريخ الساميين اثناء وجودهم في ارض الجزيرة العربية موطن الساميين الاصلي، ولقد ايد هذا الاعتقاد اسرائيل ولفنسون[٨].

وفي معرض الرد على هذا الاعتقاد نقول: أن الاسم كنعان ما كان اسماً لشخصية من سلالة ابناء نوح، ولم يكن ابناً لا لسام ولا لحام، بل هو اسم الارض التي سكنها هؤلاء الكنعانيون يوم هاجروا مع اخوانهم من ارض الجزيرة ضمن الهجرات السامية فانتسبوا اليها، هذه الارض التي عرفت بهذا الاسم لانخفاضها بالنظر لانحاء بلاد الشام الاخرى المرتفعة عنها كما سبقت اشارتنا حول دلالة مادة هذا الاسم (كنع)، والتي توجد في اللغات السامية، فهي في الكنعانية والعبريه (כָּנַע كانع) بمعنى تواضع وذله وخضوع، ولا يخفى ما لهذه الدلالة من ارتباط بالانخفاض، اما في الآرامية فهي (ܟܢܥ كنع) بنفس الدلالة، ولكنها في اللغة العربية تدل على الانخفاض بصراحة و وضوح فيقال: ارض كانعة، بمعنى ارض منخفضه[٩].

اما ما ورد من الاعتقاد بأن التفكك والانحلال قد حل في رابطة الكنعانيين بالعبريين قبل خروجهم من الجزيرة، وما ترتب على ذلك من رد العبريين نسب الكنعانيين للحاميين وليس للساميين في العهد القديم، فهذا مما لا يقوم عليه دليل او سند صحيح، بل ان بعض الباحثين ومنهم من اليهود انفسهم قد اقر علناً بوجود العلاقة الطيبة بين العبريين والكنعانيين على طول عصور مختلفة، فهذا يعقوب ايزاكس (اليهودي) يقول ما معناه باللغة العربية: «لقد بقي الكنعانيون على علاقة طيبة بالشعب اليهودي على مدى قرون عديدة»[١٠].

وقد يتبادر السؤال الثاني، ما السبب في هذه البلبلة والاختلاط؟ ونجيب على ذلك، بأن اليهود كتبوا التوراة اثناء السبي البابلي في ارض العراق او بعده، على خلاف حول كاتب اسفارها الخمسة، ما اذا كان عزرا ام غيره[١١]. وهذا يعني ان كتابتها كانت بعد كارثة حلت باليهود، نعلم ما اورثتهم من الاسى والاختلاط والتشويش في كل شيء من مناحي حياتهم، و بخاصة الذاكرة، هذه الذاكرة التي ما استطاعت ان تجزم بأن كنعان اسم لشخص أم اسم لأرض، بل لم تستطع أن تذكر أن الكنعانيين شعب نسب لأرض أم نسب لجد، وذلك اذا أخذنا هذا الامر منهم على محمل حسن النوايا، وفي الاتجاه الآخر، فيمكن لشخص ما أن ينظر لهذه المسألة نظرة الريبة والشك في حسن نوايا كاتب شجرة الانساب السامية هذه، في انه استبعد نسبة الكنعانيين لسام وجعلها لحام لحاجة في نفس يعقوب، مردها نزع الاصالة عن هذا الشعب وانتسابه لبني عصبته من الساميين، على أن كلا المذهبين لا يخلو من آفة النسيان، فقد فات كاتب النص ان فرضنا جدلا حسن أو سوء نيته ان الكنعانيين من الساميين الاوائل الذين هاجروا مع غيرهم من ارض الجزيرة، بل هل فاته ان لغتهم لغة سامية وليست حامية بل ان اللغة العبرية نفسها ترجع الى هذه اللغة كلهجة انبثقت عنها[١٢].

واذا كانت ارض كنعان قد عرفت بهذا الاسم استناداً الى صفة تضاريسها من الانخفاض، فقد عرفت هذه الارض باسم جديد متأخر عن الاسم الاول، الا وهو (فلسطين)، هذا الاسم الذي وضع هو الآخر في دوامة التيه والبلبلة والضياع، وذلك حين رده الباحثون الى اصول يونانية، على انه علم على قبائل هاجرت من جزيرة كريت وسكنت القطاع الجنوبي من ساحل فلسطين على البحر الابيض المتوسط مما لا يقوم عليه دليل علمي سليم. ان هذا الاسم وكما ورد في نصوص العهد القديم بصيغة (فليشتيم)، صيغة الجمع للمفرد (فليشت) بمعنى فلاح وفلاحين، ونظراً لحروب اسرائيل مع الفلسطينيين وصراعاتهم معهم، وانها كانت في انحاء مختلفة من ارض فلسطين، وغالبيتها في الشمال، بل على حدود المثلث الزراعي الاوسط في فلسطين، نقول: ان الاسم فلسطين اسم كنعاني بمعنى فلاحين، عرف به الكنعانيون الزراع الذين عاشوا على الفلاحة في هذا المثلث الزراعي الذي يمتد بين بحيرة طبريا فجبل الكرمل شمالا، واطراف صحراء النقب عند جنوب اللد والرملة جنوباً، وكان الصراع مستمراً بينهم وبين الاسرائيليين للسيطرة عليه وقتاً طويلا من الزمن[١٣].

هذا الصراع الذي تمتد جذوره الى ايام تيه بني اسرائيل في ارض سيناء مع موسى عليه السلام يوم رفضوا حرب الفلسطينيين لأنهم اناس جبارون اقوياء لا حيلة لبني اسرائيل في حربهم فضرب عليهم التيه اربعين عاماً الى أن دخلوا في الصراع الحقيقي مع الفلسطينيين بقيادة يوشع بن نون. ورغم تحقيقهم بعض الانتصارات بل رغم تغلبهم واحتلالهم لبعض المدن الفلسطينية غير ان الفلسطينيين لم يتنازلوا عن تواجدهم في مدنهم حتى في اوج عظمة الممالك الاسرائيلية في تلك المدن، بل ان الحرب لم تضع اوزارها بين الاسرائيليين والفلسطينيين ابداً الى أن انتهت ممالك اسرائيل على ايدي الآشوريين مما تحدثنا به المصادر المختلفه، وجدير بالاشارة أن العرب الفلسطينيين اهل البلاد الاصليين ما

كانوا يغادرونها ابداً ليس فقط ايام سيطرة الاسرائيليين على اجزاء منها، بل ايام سيطرة دول اخرى كمصر الفرعونيه او الفرس او الرومان، فقد حرص هؤلاء الاهل على البقاء في ارضهم لا يغادرونها ابدا، بل ان هذا الصراع بين اليهود والفلسطينيين استمر عبر التاريخ وان كان قد توقف ردحاً من الزمن، غير أنه مازال قائماً الى ايامنا والفلسطينيون ما يزالون يتمسكون بأرضهم ولا يغادرونها.

لقد كان استغلال النصوص الدينية في ترويج الادعاء بملكية المدينة استغلالا واسع النطاق، مما ادى الى التأثير ولو بقدر يسير على الرأي العام العالمي أن اليهود فقط دون سائر الطوائف، هم اصحاب الحق التاريخي في المدينة، ومن يحاول التوقف والتفكير في هذه المسألة او تلك، او يحاول التفوه بكلمة او رأي، أول ما يواجه بالصراخ والضجيج على أنه عدو للسامية، هذه الكلمة التي استلها اليهود من قلب النصوص المقدسة واستغلوها هي الاخرى استغلالا عنصرياً. هذا الاصطلاح (السامية) الذي يجب الا يتعدى مفهوماً علمياً يسهل على الدارسين البحث في تاريخ المجموعة البشرية التي سكنت ما يعرف ببلاد الساميين في التاريخ القديم، تلك البلاد التي صحت الاراء على أنها تشمل ارض الجزيرة والعراق و بلاد الشام. و بتقدم البحوث الاثرية والحفرية ودراسات علم السلالات البشرية، تبين ان هذا الاصطلاح (السامية) لا يتمشى مطلقاً مع البعد السلالي لهذه الجماعات التي اطلق عليها، استناداً للنص الوارد في الاصحاح العاشر من سفر التكوين، وكل ما صح لدى الباحثين، هو أن ينظر الى هذا الاصطلاح على ان له دلالة على مجموعة اللهجات واللغات التي ذاعت على السنة تلك الشعوب التي عرفت بالساميين.

واذا كان جل الشعب اليهودي قد استغل هذه الابعاد التاريخية والدينية اسوأ استغلال للتأثير على الرأي العام العالمي لصالح دعواته، و بالذات فيما يتعلق بمدينة القدس، فلنرجع اذن الى هذا التاريخ ولنستمع اليه يقول كلمته في تاريخ هذه المدينة، بيت المقدس، مدينة الله.

شروحات ومراجع

١) The Ancient Hebron, The City of David, Ph. Hammond, The Natural History Magazin, U.S.A. 1966.

٢) الاية ١ من سورة الاسراء.

٣) هذه البحيرة التي دمرت وطمرت على ايدي الاسرائيليين في اوائل الستينات.

٤) تعرف في التاريخ القديم ببحر الجليل نسبة الى جبال الجليل التي تطل عليها.

٥) يعرف البحر الميت في التاريخ، ببحر الملح، ثم ببحر لوط

٦) د. يونس عمرو، خليل الرحمن العربية، مدينة لها تاريخ، ص ٩.

٧) سفر التكوين، الاصحاح العاشر، ١-٣٢.

٨) اسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص ٢، ٣.

٩) انظر: (כנען) W. Gesenius, Hebrew and English Lexicon of The O.T.
وانظر: ابن منظور، لسان العرب، (كنع).

١٠) انظر: J. Isaacs,Our People, Hestory of the Jews, Vol.1,P.113

١١) انظر: J. Frazer, Folk -Lore in th O.T., P.350
وانظر: يونس عمرو، الاسرائيليات الخاصة بموسى في التراث الاسلامي (رسالة ماجستير غير مطبوعة في جامعة الاسكندرية ١٩٧٣)، ص ٨٨ - ٩١.

١٢) انظر: د. يونس عمرو، لمحات في فقه اللغة العربية، ص ١٩.

١٣) راجع تفصيل المقارنات اللغوية وتاصيل الاسم (فلسطين) في مقدمة كتابنا: خليل الرحمن العربية، مدينة لها تاريخ، ص ٧ - ١٦، ومما مفادة: ورد الاسم فلسطين في العهد القديم في مواضع مختلفة بصيغة (فلشتيم פְּלִשְׁתִּים) بلفظ الفاء لفظا ثقيلا مثل نطق حرف (P) باللغة الانجليزية، وبملاحظة هذا الاسم نلاحظ انه صيغة جمع المذكر السالم في اللغة العبرية التي تعتبر امتدادا للغة الكنعانية لغة اجدادنا الكنعانيين سكان فلسطين الاصليين، ومفرد هذا الاسم هو (فلشت פְּלִשְׁתִּ) كاسم مشتق من المادة الكنعانية (فلش) والتي توجد في الساميات بعامة بما فيها اللغة العربية، هذه المادة التي ارتبطت دلالاتها بالتراب والارض من حيث عزقها وحرثها والتمرغ فيها، ولهذا فتكون دلالة المفرد (فلشت) فلاح او من يعمل في الارض بشكل عام وجمعه (فلشتيم) تعني فلاحين، هذه التسمية التى اطلقت في الاصل على اولئك الكنعانيين من اجدادنا سكان ارض كنعان ممن اختاروا العمل في فلاحة الارض، فسكنوا المنطقة الزراعية فيها، والتي اشرنا الى انها تشكل المثلث الزراعي الاوسط من ارض فلسطين، الذي يمتد من بحيرة طبريا فجبل الكرمل كقاعدة لهذا المثلث

في الشمال ثم يلتقي ساقاه بانسياب نحو الجنوب شمال صحراء النقب جنوب منطقة اللد والرملة، هؤلاء الفلسطينيون عرفوا بهذا الاسم كعلم عليهم لما اختصوا به من العمل في فلاحة الارض وزراعتها، مما جعلهم يكونون اكثر عنفا في الدفاع عنها امام هجمات الغزاة، بل انهم كانوا المحاربين الاشداء الذين عانى اليهود في حربهم ضدهم اشد المعاناة، كما تحدثنا بذلك اسفار العهد القديم و بخاصة، اسفار القضاة وصموئيل الاول والثاني.

نظرا لارتباط الفلاح بالارض وارتباطها به، فقد عمم هذا الاسم ليس على الشعب فحسب بل اطلق على الارض حتى اوقف عليها، واضحى اهلها ينتسبون اليها به، فهي ارض فلسطين كجزء من ارض كنعان كما اشرنا، وهذا خلافا لما يروج له من ان ارض فلسطين تشمل ارضا او اراض غير هذه الارض.

القدس مدينة الله

الفصل الاول

موقع المدينة

تقع مدينة القدس في منتصف فلسطين بانحياز قليل نحو الشرق، وقريباً من خط العرض (٣١) درجة شمال خط الاستواء، وقريباً من خط الطول (٣٥) درجة. شرق خط جرينتش. وتقبع على ظهر هضبة غير مستوية الانحدار تميل نحو الشرق قليلا، و يتراوح ارتفاعها بين حوالي ٦٧٠ ـ ٨٠٠ متر فوق سطح البحر. ومناخها قاري لا يختلف عن مناخ القطاع الجنوبي لفلسطين، اذ تتراوح درجة الحرارة فيها بين (٢٠ ـ ٣٠) درجة مئوية صيفاً أو قد تزيد، في حين قد تنخفض الى خمس درجات مئوية تحت الصفر شتاء، على أن فرقاً كبيراً بين درجة حرارة المدينة في الليل والنهار. وتهطل الامطار في المدينة في فصل الشتاء بكمية متوسطة وقلما تسقط فيها الثلوج، على أن مناخها الجاف لا يسمح بارتفاع الرطوبة مما يجعله مناخاً صحياً. ومصادر الماء فيها قليلة، فلا وجود لانهار أو جداول في اراضيها، بل بعض العيون القليلة تنتشر في الاودية المحيطة بها كعين سلوان مثلا، والكثير منها يجف في فصل الصيف، فكانت المدينة منذ القدم تعتمد في مياهها على تخزين مياه المطر في الخزانات والصهاريج والآبار.

وتضاريس ارض القدس، تتميز بأنها ارض جبلية وعرة، و يبدو أن بناة المدينة الاوائل حين بنوها فوق هضبة من التلال التي تحيط بها قمم الجبال العاليه، قد اختاروا هذا الموقع لهدف استراتيجي، اذا أن الناظر لموقع المدينة يلاحظ ان هذه القمم تحيط بها من كل صوب، وخاصة من الناحية الشرقية والجنوبية الغربية والشمالية،

بحيث كان حماة المدينة والمدافعون عنها يتمركزون في مواقع استطلاعية استكشافية على قمم هذه الجبال، فيلاحظون جحافل الجيوش الغازية وهي متجهة الى المدينة وهي على بعد كبير هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى، فان احاطة قمم الجبال العالية بها، جعلها لا تظهر لعيون الاعداء وطلائعهم من بعيد، هذا كله جعل المدينة في حصانة طبيعية بحيث كانت من اكثر المدن مناعة وصموداً امام الغزاة والفاتحين على مر العصور[١]. لهذا، فان من المفيد التطرق بالحديث الى الجبال المحيطة بالمدينة وما يتخللها من الاودية، بايجاز دون الاطناب ما أمكن.

أهم الجبال

١) جبل الزيتون:

يعرف هذا الجبل الى جانب اسمه الذي ذكرناه، بجبل الطور، و يرتفع حوالي (١٠٠٠م) عن سطح البحر، و يزيد ارتفاعه فوق القدس حوالي ثلاثمائة متر. و يقع هذا الجبل في الناحية الشرقية من مدينة القدس، قبالة السور الشرقي للمدينة، و بالنظر لميل مدينة القدس نحو الشرق، فان الواقف على قمة هذا الجبل يستطيع ان يشاهد غالبية مدينة القدس القديمة.

لقد سمي هذا الجبل بجبل الزيتون، نسبة لغابات الزيتون التي كانت وما زال البعض منها ينبت على قمته وسفوحه، بل ان الزيت الذي كان يستعمل في المسح كان يؤخذ من زيتونه لقداسته، وهذا حسب نصوص التلمود، ولذلك عرف بجبل المسح أو التتويج. وكذلك كانت تحرق على رأسه بقرة القربان الحمراء، وكان يستعمل رمادها عند اليهود في تطهير الهيكل، و يبدو أن هذه العادة كانت مستعملة عند الكنعانيين قبل مجيء اليهود الى المدينة. وتجدر الاشارة الى أن هذه البقرة وقصتها مع بني اسرائيل، قد وردت في القرآن الكريم حيث

يقول جل شأنه: «واذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين[٢]».

و يفصل هذا الجبل عن مدينة القدس واد عميق يعرف بوادي قدرون - سنتحدث عليه عند التعرض للاودية المحيطة بالقدس - حيث في اسفل الجبل قرب حافة الوادي، تقع حديقة المعصره (الجثمانيه)[٣]، هذه الحديقة التي ارتبطت بذكريات قدسية عند المسيحيين حيث صلى المسيح عليه السلام هناك قبل ان يلقى القبض عليه و يحكم عليه بالموت حسب اعتقاد المسيحيين حول هذه المسألة.

و يبدو أن اكثر الانبياء ممن لهم ذكريات في هذا الجبل سيدنا عيسى المسيح عليه السلام، ولهذا، فضلا عن استعمال زيت زيتون هذا الجبل في طقوس المسح عند اليهود لقداسته - لهذا - فقد ارتبط هذا الجبل بادعاءات بعض اليهود ممن ادعوا أنهم المسيح المنتظر، ونروى حكاية أحدهم رواها المؤرخ يوسيفيوس، مفادها ان يهودياً من مصر في ايام الحكم الروماني فيما بعد منتصف القرن الاول الميلادي، جاء القدس مدعيا انه المسيح المنتظر، ومعه جمع من الناس وصعد الى جبل الزيتون، واعلن عليهم انه بارادته سيهدم اسوار القدس و يدخلها و يستولي عليها هو واتباعه، فما كان من حاكم المدينة الروماني وفي لحظة وصول الخبر اليه، الا أن هاجمه وقتل عدداً من اصحابه، ففر هو ومن بقي من جماعته.

و يبدو أن المسيح عليه السلام كان يعلم بقدرة الله بأن هذا سيحدث، فدأب يحذر منه غير مرة، وهذا ما جاء في العهد الجديد في اكثر من موضع، ونذكر منه هذا التحذير الذي اطلقه

عليه السلام وهو على هذا الجبل: «وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم اليه التلاميذ على انفراد قائلين قل لنا متى يكون هذا وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر، فأجاب يسوع وقال لهم انظروا لا يضلكم احد. فان كثيرين سيأتون بأسمي قائلين انا هو المسيح و يضلون كثيرين. وسوف تسمعون بحروب واخبار حروب. انظروا لا ترتاعوا. لانه لابد أن تكون هذه كلها ولكن ليس المنتهى بعد. لانه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأو بئة وزلازل في أماكن. ولكن هذه كلها مبتدأ الاوجاع. حينئذ يسلمونكم الى ضيق و يقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الامم لأجل اسمي. وحينئذ يعثر كثيرون و يسلمون بعضهم بعضاً و يبغضون بعضهم بعضاً. و يقوم انبياء كذبة كثيرون و يضلون كثيرين[٤]».

إن مدقق النظر في هذا النص المقدس انما يشعر بمكانة هذا الجبل المقدسة وارتباطه بذكرى المسيح عليه السلام، بل انه اصبح بمثابة المكان الذي ان رام احد من الادعياء ان يعلن نفسه مسيحاً منتظراً، لا بد أن يفعلها من على هذا الجبل، وقد حدثت حوادث مثل هذه كالتي ذكرنا ولا يتسع المقام لتتبعها[٥].

و يشكل جبل الزيتون أهم مفاتيح مدينة القدس من الناحية الاستراتيجية تاريخياً، فهو يسيطر على مدخلين من مداخلها، المدخل الشرقي، والمدخل الجنو بي، فهو يسيطر على غور الاردن، وجانب كبير من منطقة البحر الميت، بل يتجاوز الناظر من اعلى هذا الجبل فيستطيع مشاهدة منطقة مصعدة وعين جدي على الساحل الغربي من البحر الميت، واذا اسعف صفاء الجو فقد يستطيع الناظر من على هذا الجبل الوصول بنظره الى هضبة جبال مؤاب في الناحية الشرقية للبحر الميت.

هذا هو جبل الزيتون[٦]، بل طور القدس الذي سمي بهذا الاسم تيمناً بجبل حوريب او طور سيناء.

٢) **جبل بطن الهوا:**

وهو الجبل الذي يقع جنوب جبل الزيتون ينخفض عنه بمستوى هضبة مدينة القدس، مقابلا لها في الركن الجنوبي الشرقي، و يفصله عن المدينة وادي سلوان أو وادي الربابه أو وادي جهنم في نقطة التقائه بوادي قدرون. و يقع على هذا الجبل اليوم من أعلاه حي (رأس العامود) حيث يشكل مفترق طرق الاولى تتجه شمال غرب نحو مدينة القدس، والثانية تتجه شرقاً نحو اريحا والغور، والثالثة تتجه نحو صور باهر مروراً بجبل المكبر الى بيت لحم و بيت ساحور. وربما سمي هذا الجبل ببطن الهوا، لانه يقابل الناحية الغربية متقبلا الهواء القادم عبر وادي الربابة مروراً بسلوان.

يبدوان هذا الجبل دخل معتركاً سيئاً لارتباطه بنساء سليمان الاجنبيات الوثنيات اللاتي تزوج بهن، وأقام لكل واحدة منهن منزلا ومعبداً لالهها عليه، لذلك عرف هذا الجبل في التراث الاسرائيلي باسم (הר-המשחית هار همشحيت) اي الجبل المهلك او الفاضح، وذلك لانه كان بما عليه من معابد واوثان من بين اسباب غضب الرب على اليهود وضربه لهم وازالة ملكهم فيما بعد سليمان، وصار يشكل ذكريات فاضحة في تاريخهم، و يذكر العهد القديم هذا الجبل وما كان عليه: «وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، مؤابيات، وعمونيات، وادوميات، وصيدونيات، وحيثيات، من الامم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم، لانهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالحب، وكانت له سبعمائة من النساء الحرائر وثلاثمائة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه، وكان في

زمن شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود ابيه. فذهب سليمان وراء عشتروت الهة الصيدونيين وملكوم (مولك) رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر في عيني الرب، ولم يتبع الرب تماماً كداود ابيه. حينئذ بنى سليمان معبداً لكموش، رجس المؤابيين على الجبل الذي تجاه اورشليم، ولمولك رجس بني عمون. وهكذا فعل لجميع نسائه الاجنبيات اللواتي كن يوقدن و يذبحن لآلهتهن[٧]».

و بغض النظر عن نقدنا لهذا النص من وجهة النظر الاسلامية من ناحية انه يطعن في النبي سليمان عليه السلام، مما لا نقره نحن المسلمين تمشياً مع روح النص القرآني في تنزيه هذا النبي عن مثل هذه الاعمال بل تنزيهه عن زيغ القلب وخلخلة الايمان، اذ يقول تعالى: «وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا... »[٨] وقال ايضاً: «ولقد آتينا داود وسليمان علما...[٩]» وقال: «وهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب...»[١٠].

ولا نريد الخوض في أقوال العلماء حول كثير من مثل هذه النصوص الواردة في العهد القديم مما لا يتسع له بحثنا على أن هذه الأقوال موجودة في مظانها[١١].

ولما اشرنا اليه من أن هذا الجبل عرف بالجبل الفاضح او الجبل المهلك، فقد ذكر بهذه الصفة على السنة الانبياء بعد سليمان، فهذا إرميا النبي يقول فيه: «هأنذا عليك أيها الجبل المهلك يقول الرب المهلك كل الارض فأمد يدي عليك وأدحرجك عن الصخور وأجعلك جبلا محرقاً، فلا يأخذون منك حجراً لزاوية ولا حجراً لأسس بل تكون خراباً الى الابد يقول الرب[١٢].»

٣) جبل أكرا او جبل صهيون:

إن هذا الجبل عبارة عن تلة مرتفعة عن هضبة مدينة القدس القديمة، و يقع في الناحية الجنوبية الغربية منها، و يفصل بينهما واد قديم يسمى وادي الجبانه أو التربيون[١٣] يتصل بوادي قدرون ووادي سلوان أو وادي الربابة في الجنوب من المدينة.

لقد كان هذا الوادي باشرافه على هضبة المدينة يشكل موقعاً استراتيجياً يتحكم فيها من الداخل، فقد اتخذ منه اليبوسيون بناة المدينة الاوائل وسكانها مقراً للحكم، فبنوا عليه قلعة حصينة بقيت في ايديهم الى أن جاء داود الى القدس في السنة الثامنة من توليه الحكم في جبل جرزيم في نابلس، فطرد اليبوسيين من القلعة واستولى عليها، وسماها (مدينة داود)، ثم عرف هذا الجبل باسم صهيون من واقع اضفاء هالة من القدسية والبعد الفولكلوري الذي خلد داود في قلوب اليهود، و يثير في نفوسهم ذكريات ايامه.

بل ان اليهود قد اتخذوا من هذا الاسم (صهيون) عنواناً قومياً وراحوا يروجون له في العصر الحديث كعنوان تجمع لهم. ولما كان هذا الاسم قد حظي بهذه المكانة ارى من الضروري عرضه على البحث اللغوي المقارن: فنرى اصله ودلالاته ومعانيه، ان الاسم في اللغة العبرية جاء على صورة (صهيون) وفي السريانيه (صيون) تماماً كما في اللغة العربية، و بالرجوع الى أصول هذا الاسم نلاحظ انه مشتق من المادة السامية (ص و هـ) مع احلال حرف الألف مكان حرف الهاء في كل من اللغة العربية والآرامية فتصبح المادة في اللغة العبرية (صواه) بمعنى أمر أو القى أمراً، ثم في اللغة العربية (صوا)

اسم صوت، ومنه الصاوي: اليابس، و يقال صوت النخلة تصوي اذا جفت و يبست، ولا يخفى ما للدلالة على النخلة اليابسة من علاقة بالصوت الذي يصدر عن اهتزازها، ثم في اللغة الآرامية والسريانية نلاحظ وجود المادة (صوا) بمعنى غرد وشدا وغنى، فضلا عن دلالة بعض اشتقاقاتها على معنى اليبس فمنها (صويا)بمعنى جاف[١٤].

من الملاحظ ان المادة في اللغات السامية الثلاث بنفس الجذر، والخلاف الوحيد بينهن فيها هو أن اعتلال الحرف الاخير في العبرية جاء بالهاء في حين جاء في العربية والسريانية بالالف، وهذا أمر طبيعي، أما تركيب الاسم (صهيون) في اللغة العبرية (صيون) بتشديد الياء اي بتضعيفها ثم الحاق الواو والنون، وهذا أمر جد دقيق، يحتاج الى صبر واناة في تحليل هذه الكلمة وهو على النحو التالي:

إن الجذر ( ) ورد في الاصول الكنعانية حسب قاموس جينرنيوس ( ) بالياء دون الواو، وهذا أمر ليس فيه غرابة لما نعرفه من اتحاد الواو والياء اذا جاءا حرفين ساكنين، وعليه فيكون الفعل العبري الذي نحن بصدده ( ) قد جاء من تضعيف الواو، الذي يمكن أن يكون أيضاً بتضعيف الياء حسب الجذر اليائي الوسط الذي أوردناه، أي ان الفعل يجوز أن يأتي على صيغة ( ) وهذه الصيغة هي التي استعملت في تركيب الاسم باضافة مقطع الواو والنون فصارت (صيون)، وهذا المقطع في حد ذاته الذي نلاحظه في تركيب كثير من الاسماء السامية مثل قدرون، وصيدون، وحبرون وهكذا، هذا المقطع الذي لم يستطع اي من الباحثين التوصل الى معناه أو سببه، مع اننا نميل الى اعتباره علامة قديمة من علامات التصغير اعتماداً على احساس خفي بمعنى مثل هذه التراكيب.

اما الصيغة (صهيون) في اللغة العربية واللغة السريانية من اسقاط الهاء في وسط الكلمة، فذلك كان بهدف التسهيل في النطق هروباً من تشديد الياء كحرف ساكن ضعف مع حركة الضم في كلمة (صيون) وذلك لأن التشديد في هذه الحالة يتطلب ارتجاج الحنك واهتزازه، فحولت الياء الاولى الساكنة الى هاء ساكنه وأبقي على الياء المتحركة الثانية، ونضرب مثلا للتحول من الياء الى الهاء، في لفظ المصريين اليوم للفظ (بو يجي) بمعنى ماسح الاحذية، الى اللفظ (بوهيجي).

والآن الى دلالة الاسم صهيون، لقد مر انه من جذر يدل على صوت شيء جاف، ثم تطور الى معنى الأمر في العبرية ومعنى الشدو في السريانية، ولما كان هذا الاسم مرتبطا بداود عليه السلام والجبل الذي اتخذ منه مقراً لحكمه حين استقر في القدس، وداود هذا هو صاحب المزامير وما تتطلبه من الترانيم التي كان لابد أن تصاحب تراتيلها آلات موسيقية مختلفة، اطلق هذا الاسم على موضع داود كامام للمغنين المرنمين، والدليل على ذلك ما نفهم من خلال هذا النص: «على أنهار بابل هناك جلسنا. بكينا ايضاً عندما تذكرنا صهيون. على الصفصاف في وسطها علقنا اعوادنا. لانه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة ومعذبونا سألونا فرحاً قائلين رنموا لنا من ترنيمات صهيون[١٥]».

اليس من الواضح أن الاسم قد ارتبط في أذهان اليهود أيام السبي بالترانيم والتراتيل المقدسة، التي تمس شغاف القلوب فتهيج الاشجان؟ بلى ان هذا الاسم، قد ارتبط بمزامير داود، ومن ثم اطلق على هذا الجبل، ومن بعد استبعد هذا المعنى لهذا الاسم، واتخذ عنوانا للدعوة اليهودية في العصر الحديث، بديلا للدعوات القديمه كابناء الله وشعب الله المختار، وغير ذلك.

وعوداً الى جبلنا، الذي بينا كيف سمي بجبل صهيون، نعود فنوفيه حقه ببيان عودة اطلاق الاسم (أكرا) عليه، لقد ثار اليهود على الحاكم اليوناني السلوقي انطيوخوس الرابع الملقب (بابيفانوس)[١٦]، الذي حكم بلاد الشام في فترة حكم السلوقيين اليونانيين اتباع سلوقس احد ورثة الاسكندر، والذي حكم فيما بين عام ١٧٥ وعام ١٦٤ ق. م، و يبدو أن اليهود في ثورتهم قد اعتصموا بقلعة جبل صهيون، فبادر هذا الحاكم الى القضاء على هذه الثورة، ومن ثم قام ببناء قلعة على هذا الجبل سماها (أكرا) باسم الجبل نفسه. وهذا خلافاً لما يروج له البعض في هذه الايام، من أن قلعة اكرا، او قلعة داود، واللتين قامتا على انقاض القلعة اليبوسية، هي نفس القلعة التي تقوم اليوم على طرف السور قرب باب الخليل، والتي تعرف باسم (القشله)، وهذا مجانب للصواب تماماً، فهذا الموقع بعيد من موقع جبل صهيون الذي نتحدث عنه، وهذه القلعة قائمة مكان قلعة هيرودت[١٧]. اي من ايام العهد الروماني، جددها المسلمون و بنوا على انقاضها، ثم رممت او اعيد بناؤها في أوائل العهد العثماني.

٤) جبل بيت المقدس:

وهو الجبل الذي يقوم عليه المسجد الاقصى، ولهذا يعرف باسم «جبل الحرم». ولقد ورد في نص التوراة اسمان، الاول (الموريا) والثاني (الرب يرى)، ذهب الباحثون الى أنهما اسمان لهذا الجبل، ولدى الاطلاع في هذه النصوص تملكتني الدهشة كيف اطلق هذان الاسمان على هذا الجبل من غير دليل، ذلكما الاسمان اللذان ارتبطا بقصة ابراهيم عليه السلام وابنه الذبيح، مع أن ابراهيم كان بعيداً عن القدس و يعيش في ارض الجنوب في حكم ملك كنعاني يدعى ابيمالك ملك جرار، مملكته على اطراف النقب قرب حدود سيناء، مع أن القدس كانت مدينة متكاملة ولها اسم معروف وملك مستقل يعرفه

ابراهيم، فهي مدينة شاليم ومليكها اسمه ملكي صادق فقد حدث ان بارك هذا الملك المؤمن بالله على دين نوح، بارك ابراهيم حسب نص التوراة نفسه، «وملكي صادق ملك شاليم اخرج خبزاً وخمراً، وكان كاهنا لله العلي. و باركه وقال مبارك ابراهيم من الله العلي...[18]». فكيف اذا جاء وقت قصة الذبح لابنه التي فيها الخلاف والتناقض حسب نص التوارة يطلب الله منه أن يذهب الى أرض يسميها له و يحددها بأرض الموريا، وقد كان مقيماً في ارض جنوب فلسطين وفي حكم ملك آخر هو ابيمالك، فيعتبر هذا الاسم (الموريا) اسماً لجبل القدس، مع أن الوصف الوارد لهذه الارض يدل على انها كانت خالية من الناس، فهي غابة فيها أشجار حسب الرواية في سفر التكو ين، ونذكر النصوص هنا تباعاً لكي يقرأ كل ذي فهم و يتفكر فيما أثرنا من تساؤلات: «وانتقل ابراهيم من هناك الى أرض الجنوب[19]. ـ فأرسل ابيمالك ملك جرار وأخذ ساره.[20]» ـ «وحدث بعد هذه الامور أن الله امتحن ابراهيم، فقال له يا ابراهيم، فقال هأنذا، فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحق واذهب به الى أرض الموريا[21] وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك[22]».

وتستمر النصوص في رواية أحداث الذبح حتى تصل الى مناداة ملاك الرب على ابراهيم يدعوه الى ذبح الكبش: «فرفع ابراهيم عينيه ونظر واذا كبش وراءه ممسكاً في الغابة بقرنيه. فذهب ابراهيم واخذ الكبش واصعده محرقة عوضاً عن ابنه. فدعا ابراهيم ذلك الموضع يهوه يرأه. حتى إنه يقال اليوم في جبل الرب يرى[23]».

حسب مراجعة النصوص حول ان الله سوف يخبر ابراهيم باسم الجبل الذي عليه الوقوف عليه من ارض الموريا، لم نعثر على تحديد لهذا الجبل غير انه يقف على جبل ما حسب وحي اوغيره، و يسمي ابراهيم هذا الجبل بعد انقضاء الامر باسم

جبل الرب يرى تيمناً بأن الله رآه وهو يهم بذبح ابنه ففداه بالكبش. على أن قصة الفداء نفسها ومن هو الذبيح اهو اسحق حسب عقيدة اليهود ام اسماعيل حسب عقيدة المسلمين، هي الاخرى موضع خلاف، وتحتاج لدراسة مقابلة النصوص لبيان أن الذبيح كان اسماعيل ابن ابراهيم الوحيد حسب نص سفر التكو ين نفسه وليس اسحق، وهذا ما لا يتسع المقام للقول عليه.

ان جبل بيت المقدس، و بعد ما أوردنا، لا يعقل بحال ان يكون هو جبل الموريا، لأن الموريا اسم لأ رض وليس لجبل محدد، فضلا عن أن هذه الارض يجب ان تكون في مكان قريب من الارض التي يقيم فيها ابراهيم في جنوب فلسطين، وهذا ما يقتضيه المنطق وموائمة الاحداث والمواضع، فأرض الموريا معروفة لابراهيم عليه السلام، تماماً كما ان ارض القدس اورشاليم معروفة له. فلماذا هذا التشو يش والخلط بين الاسماء سواء كان مقصوداً أم غير مقصود.

و يجدر بالاشارة أن الخلاف حول هذا الجبل من انه كان موضع الفداء، حاصل بين اليهود انفسهم، فالسامريون يرفضون كون هذا الجبل هو المقصود، و يعتقدون بأن حادثة الفداء حصلت على قمة جبل جرزيم في مدينة نابلس[24]، ذلك الجبل الذي يحتفل السامريون بذبح القرابين عليه الى يومنا هذا.

إن جبل بيت القدس بما فيه من قبة الصخرة والمسجد الاقصى يعتبر من الاماكن المقدسة عند المسلمين لارتباطه بذكرى الاسراء والمعراج، بل انه اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين الحرم المكي والحرم النبوي.

٥) **جبل رأس المشارف:**

يقع هذا الجبل في الناحية الشمالية الشرقية من مدينة القدس، كامتداد لجبل الزيتون، و يفصل بينهما شعب يعرف بعقبة الصوان، و يعرف هذا الجبل باسم جبل سكو بس كتحريف للاسم (سكو بوالس) في اليونانية ومعناه الهدف والارتفاع والاشراف وما زال يعرف بهذا الاسم، كما يعرف هذا الجبل في المصادر العبرية باسم (هار هاصوفيم) أي جبل المراقبين.

إن هذا الجبل يطل على مدينة القدس من عل، و يسيطر على انشعاب الطريق التجاري القديم الذي يمر بالقدس شمالا، حيث يتفرع بعد أن يمر من غرب هذا الجبل الى طريقين، طريق تواصل شمالا الى نابلس، وطريق يتجه شرقاً الى غور الاردن. ولاسم هذا الجبل علاقة بالشؤون الحربية سواء في اللغة العربية (رأس المشارف) اي قمة القمم المشرفه العالية على سائر الجبال التي كان يستغلها اهل المدينة كنقاط مراقبة في حالات الحرب والسلم. وفي اللغة العبرية (جبل المراقبين) الذين كانوا يرقبون من على قمته تحركات الاعداء القادمين من الشرق والشمال الشرقي، وأغلب الظن ان الاعداء المقصودين بهذا كانوا الاشوريين الذين قضوا على حكم اليهود في السبي.

وجدير بالذكر أن المدينة من داخلها كانت تقوم على مجموعة من المرتفعات عمادها هضبة بيت المقدس التي يقوم عليها الحرم وتعرف في كثير من المصادر باسمه، هذه الهضبة التي نراها اليوم مستوية، انما تشكلت بضم مرتفعين آخرين لها، المرتفع الاول ضم اليها من الناحية الشمالية الغربية، وكان يعرف باسم (بيزيتا) كاختصار ونحت للتركيب (بيت الزيت)، فقد كان المكان تكثر فيه زراعة الزيتون، وهذا المرتفع

تقوم عليه اليوم الاحياء المحيطة بباب حطة و باب الساهرة في البلدة القديمه[٢٥].

اما الالحاق الآخر بجبل بيت المقدس فقد حدث في الناحية الجنوبية الشرقية لاحد التلال التي كانت ملحقة بجبل أكر او جبل صهيون الذي يمتد نحو الغرب، بحيث ردم جانب من وادي الجبانه (التربيون) و بالذات الجانب الشمالي منه، بحيث يمكن القول أن طريق الواد التي تمر غربي الحرم داخل المدينة القديمة تعتبر جزءاً منه.

وعليه تبقى المدينة وكما نعرفها اليوم منقسمة الى قسمين بل تقوم على هضبتين هضبة الحرم او بيت المقدس شرقاً وامتداد هضبة اكر او جبل صهيون غربا، وقبل اعمال الردم والتسوية المختلفة كانت تقوم ممرات بين الهضبتين فوق المنخفضات على شكل جسور وقناطر تصل شرقي المدينة بغربيها. و يذكر المؤرخون ان من هذه القناطر ما بني في عهد اليبوسيين واخرى في العهود اللاحقة، حتى أن الحشمونيين الذين حكموا لحساب اليونان بنوا قنطرة تصل مدينة داود بجبل الحرم[٢٦].

أهم الاودية:

في معرض وصفنا لمنطقة القدس والتضاريس الطبيعية لموقعها، وقد تحدثنا على الجبال والمرتفعات، نرى ان نتحدث على الاودية والمنخفضات التي تخللت الجبال والمرتفعات التي قامت عليها المدينة، مقتصرين على الاودية الرئيسة لما لها من الاهمية والارتباط بتاريخ المدينة منذ النشأة الاولى والى يومنا هذا. ونبدأ بها من الشرق.

١) وادي قدرون:

يقع هذا الوادي في الجانب الشرقي لمدينة القدس، فيفصلها عن جبل الزيتون، و ينساب من الشمال الى الجنوب حتى يجتاز منطقة القدس و يستمر ملتقياً بأودية أخرى الى أن يصل الى البحر الميت، والبعض يسمي الوادي بوادي النار، كما سمي بهذا الاسم جدول الماء الذي يتكون فيه بفعل تجمع مياه الامطار في فصل الشتاء. أما تحليل الاسم (قدرون)، فنرى انه من المادة السامية (ق د ر) فهي في الكنعانية اليهودية (קָדַר قادر) بمعنى ظلام، ولون قاتم، وتقابلها في اللغة العربية نفس المادة لكن باعجام الدال ذالا (قذر) بمعنى وسخ، وجدير بالاشارة ان هذه المادة بهذا المعنى غير موجودة في الآرامية[٢٧].

لقد ركب اسم هذا الوادي (قدرون) بزيادة مقطع الواو والنون وعرف كعلم على جدول الماء الذي ينساب فيه شتاء كما اشرنا، ولكن قد تكون علاقة لهذا الاسم عند اليبوسيين بمعنى اللون القاتم والظلمة لكونه خارج الاسوار قريباً من وادي النفايات، فضلا عن معنى القذارة حسب دلالة المادة في اللغة العربية.

لقد دار حول الوادي اعتقاد بأنه سيكون مكاناً للحشر يوم القيامة عند اليهود والمسيحيين، وذلك لما ورد في العهد القديم: «أجمع كل الامم وانزلهم الى وادي يهوشافاط واحاكمهم هناك...[٢٨]»، وفي موضع آخر: «تنهض وتصعد الامم الى وادي يهوشافاط لاني هناك اجلس لأحاكم جميع الامم من كل ناحية[٢٩]». فاستناداً الى ما ذكرنا من العهد القديم على لسان يوئيل فقد عرف الوادي الى جانب اسمه قدرون، بوادي يهوشافاط او يوشافاط وهو اسم عبري مركب من مقطعين

(يهو) وهو اسم الرب، و (شافاط) بمعنى حكم، و يكون الاسم بالعربية (وادي القضاء)، وقد ورد في العهد القديم ذكر الوادي بهذا الاسم عيناً: «جماهير جماهير في وادي القضاء لأن يوم الرب قريب في وادي القضاء[٣٠]». غير أن الاعتقاد بأن الحساب يوم الآخرة سيكون في وادي سلوان المناظر لهذا الوادي من الناحية الجنوبية لمدينة القدس الذي عرف قديماً بوادي جهنم، هذا خلافاً لما ذكره الاستاذ عارف العارف من أن هذا الوادي (قدرون) يسمى بوادي جهنم[٣١]، عند المسلمين، مع صحة ما ذهب إليه من انه يعرف عند اليهود بوادي ابشالوم وذلك لما يروى من أن ابشالوم ابن داود الذي ثار على ابيه قد دفن في هذا الوادي، كما يعرف هذا الوادي عند المسيحيين بوادي مريم لما نعرف من وجود حديقة الجثمانية فيه، والتي تقوم عليها كنائس لمختلف الطوائف، وخاصة كنيسة الجثمانية الشهيرة، و بالقرب من هذه الكنيسة، يوجد قبر القاضي مجير الدين الحنبلي احد قضاة مدينتي القدس والخليل في أواخر العهد المملوكي، والذي اشتهر بكتابه (الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل)، والذي توفي عام ٩٢٧هـ-١٥٢١م، وتقوم على قبره قبة بديعة الصنعة ما زالت الى يومنا هذا على يمين المتجه الى باب الاسباط

جدير بالاشارة ان في هذا الوادي بعض المنحوتات الاثرية التي تدل مظاهرها على طراز النحت الكنعاني وربما يرجع تاريخها الى العهد اليبوسي.

٢) وادي سلوان أو وادي الربابة كما هو معروف اليوم:

يمتد هذا الوادي بمحاذاة الناحية الجنوبية لمدينة القدس بانسياب من الغرب الى الشرق، حيث يبدأ من الطرف الجنوبي الشرقي لجبل صهيون الى أن يلتقي بوادي قدرون شرقاً.

والاسم سلوان جاء من اسم النبع القائم في نهاية الوادي الشرقيه والذي يعرف اليوم بعين سلوان، وقد عرف ايضاً باسم (جيحون) كتحريف لاسم الوادي القديم على زمن اليبوسيين (جي هنوم) وسيأتي بحثه.

اما الاسم سلوان، فهو من الكلمة الكنعانية (شيلوه) بمعنى مستخرج أو مستنبط وهي مشتقة من المادة السامية العامه (س ل و) التي تدل في الاصل على الانطلاق والافلات. فهي في اللغة العبرية المنبثقة عن الكنعانية (שִׁלֹחַ شلاه)، وفي اللغة الارامية (ܫܠܐ شلا) وفي اللغة العربية (سلا)[٣٢]. وبهذا تكون الكلمة دلالة على الماء المستخرج من الصخر، خاصة اذا علمنا أن هذا الماء قد اصعد في نفق داخل الصخر ليصب في بركة داخل اسوار مدينة القدس، وذلك كما تروي لنا نصوص العهد القديم: «و بقية امور حزقيا وكل جبروته وكيف عمل البركة والقناة وادخل الماء الى المدينة...»[٣٣]. وقد ذكر العهد القديم على لسان اشعيا النبي كلاماً مشوشاً غير واضح حول هذا النبع: «ثم عاد الرب يكلمني ايضاً قائلا. لأن هذا الشعب رذل مياه شيلوه الجاريه بسكوت وسر برصين وابن رمليا. لذلك هو ذا السيد يصعد عليهم مياه النهر القوي والكثيرة ملك أشور وكل مجده فيصعد فوق جميع مجاريه فوق جميع شطوطه.»[٣٤].

إن القارىء لهذا النص يحس أنه يتحدث عن نبع عظيم بمياه كثيرة لها وديان وشطوط مع انه نبع صغير، ولكن يبدو أنه يريد الاشارة الرمزية الى حصار ملك اشور المعروف سنحاريب الذي هاجم القدس وخربها في عهد الملك حزقيا عام (٧٠١) قبل الميلاد.

على أن نقشاً بالرسم الكنعاني المتأخر قد عثر عليه في داخل النفق يروي حكاية شقة في الصخر كيف كانت عرف

بنقش (سلوان)[٣٥]، و يفهم من هذا النقش أن النحاتين كانوا فريقين، الفريق الاول بدأ الحفر من النبع متجهاً تحت الجبل نحو اسوار القدس، والفريق الثاني بدأ الحفر من قلب المدينة متجهاً نحو النبع، واستمر الفريقان الى أن التقيا تحت الجبل، فوضع النقش في ذاك الموضع تخليداً لذكرى هذا العمل العظيم، بالنظر لما نعرفه من ندرة المياه الجوفية في منطقة مدينة القدس واعتمادها على مياه الامطار مما كان يضعف صمودها امام حصار الغزاة، وكما نعرف، فان حصار الاشوريين طال للمدينة حتى اكتشفوا هذا النبع وذاك النفق، ومنعوا المياه عنها فاستسلمت.

وجدير بالذكر أن حياً عربياً يقوم في تلك المنطقة من الوادي يعرف بحي سوان من أحياء القدس الحديثة خارج السور اليوم.

أما الاسم (جيحون) والذي ورد كعلم على هذا النبع او على نبع آخر قريباً منه ـ ورد ـ في العهد القديم اكثر من مره، فها هو داود يقول لاتباعه: «فقال الملك لهم خذوا معكم عبيد سيدكم وأركبوا سليمان ابني على البغلة التي لي وأنزلوا به الى جيحون. و يمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبي ملكاً على اسرائيل واضربوا بالبوق وقولوا ليحي الملك سليمان.»[٣٦]

على أن هذا الاسم (جيحون) تحريف لاسم الوادي نفسه والذي عرف عند اليبوسيين بوادي هنم او بوادي جهنم كما يسميه البعض اليوم، هذا الاسم (جهنم) الذي يعتبر تركيباً من اسمين: (جي) بمعنى واد في الكنعانية، و (هنم) أو (هنوم) اسم لقبيلة يبوسية سكنت الوادي، وكانت في العصور المتأخرة بعد زوال دولة اليبوسيين من القدس وقيام دولة اليهود تعيش فيه. غير أن هذا الوادي في عهد اليبوسيين كان مكاناً لعبادة اله النار اليبوسي (مولك) الذي كان من طقوس

عبادته احراق التقدمات عند قدميه أو على ذراعيه و بخاصة. من الاطفال وسيأتي ذكره، ولعل هذا الامر هو الذي جعل الوادي يرتبط في عقيدة اليهود والمسيحيين بحساب الخاطئين فيه في الآخره، فجعلوا اسمه علماً على نار العقاب في العالم الآخر[٣٧]، هذا الاسم (جهنم) الذي أخذته العربية وورد استعماله بنفس المعنى في القرآن الكريم وتوطد بين المسلمين، فقد قال تعالى: «واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد.»[٣٨]

فالاسم (جيحون) كعلم على النبع ما هو الا تحريف لاسم الوادي أصله (جيهنوم) حولت الهاء الى الحاء واسقطت النون ثم حولت الميم في الآخر الى النون، وهذا جائز الحدوث في اللغة العربية بخاصه، وفي اللغات السامية عامة[٣٩].

وجدير بالاشارة أن أعلى هذا الوادي من الناحية الغربية منه، على طرف مدينة القدس من الناحية الجنوبية الغربية، الجزء العلوي منه يعرف اليوم (بجورة العناب) كتوليد معنوي للاسم القديم لهذا الوادي او الجزء العلوي منه وهو حقل الدماء، كما يعرف هذا الجزء ببركة السلطان، لانه اتخذ منه خزاناً لمياه المطر في العهدين المملوكي والتركي، بنفس الطريقة التي كانت متبعة في أماكن كثيرة من بلادنا.

٣) وادي الجبانه:

يتوسط هذا الجبل وادي قدرون شرقاً ووادي سلوان من الناحية الغربية الجنوبية منه، اي انه يلتقي بالواديين باتجاه الناحية الجنوبية الشرقية من القدس، و يمتد نحو المدينة، فيفصل هضبة الحرم القدسي (جبل بيت المقدس) عن جبل أكرا (جبل صهيون)، وقد اشرنا الى أن اعلاه يشكل جزءاً من المدينة القديمة نفسها بل انه ردم لتوسيع هضبة الحرم وجبل صهيون.

و يبدو أن هذا الوادي كان مكاناً لدفن الموتى فعرف بهذا الاسم، ثم انه في العصور المتأخرة استغل لوضع القمامة، فعرف بوادي القمامة، وقد استمر الردم في هذا الوادي بحيث اصبح قسم منه ملحقاً بحواكير تعرف اليوم بحواكير (الضهور)[٤٠] خارج السور الحالي، التي تقوم على ما عرف في القديم بتل أوفل الذي يعتبر امتداداً جنوبياً لجبل صهيون[٤١]، ومما يعرف به الوادي من الاسماء وادي الترابيون، وجدير بالاشارة الى أن الاسم الجبانة، قد يكون بسبب دفن الموتى فيه، خلافاً لما ورد في بعض المصادر من ان صانعي الجبن كانوا يقيمون فيه.

٤) وادي الارواح:

و يدور حول غرب جبل صهيون، من الناحية الغربية و ينساب جنوباً الى ان يتصل بوادي سلوان من أعلاه فيتحد معه عند ما يعرف اليوم (بجورة العناب) او بركة السلطان، وعرف ايضاً بوادي العفاريت[٤٢]. ولعل هذه التسمية الحقت به لأنه كان مكاناً لدفن الموتى من القدم، فقد عرف بوادي (رفائيم) حسب ما ورد في العهد القديم من سفر اشعيا (٢٦: ١٩). والكلمة هذه كلمة كنعانية استمر وجودها في اللغة العبرية (רְפָאִים) بمعنى الاشباح، على أن جيزنيوس يردها الى اللهجة الكنعانية الفينيقية[٤٣]. وهذه الكلمة تعتبر من اختصاص اللغة الكنعانية دون الساميات.

المدينة والاسوار:

لقد مرت الاشارة الى أن موقع المدينة كان غاية في الحصانة الطبيعية لما يحيط بها من الجبال العالية، التي تشكل مراكز مراقبة طبيعية، يمكن رصد تحركات الاعداء من بعيد قبل أن يصلوا اليها. اما مسطح المدينة فقد كان منذ القدم والى اليوم يقسم الى قسمين، البلدة العليا وهي الشطر الغربي، والبلدة السفلى وهي الشطر

الشرقي، و يبدو أن المدينة في بداية النشأة في عهد اليبوسيين ما كانت بحاجة لاسوار، بل اكتفى اليبوسيون ببناء حصون في الناحية الغربية منها على جبل صهيون، تلك الحصون التي كانت تسيطر على البلده السفلى وتضمن لها الحماية الكافية. لا يعرف على وجه التحديد الى يومنا هذا متى بني اول سور حول المدينة ولا من هم اول من بناه، ولكن الثابت من نتائج الحفريات التي اجريت والبحوث الاثرية التي كتبت، أن السور الاول للمدينة، غير السور المعروف اليوم، بل انه كان في وضع يحدد معه المدينة بانحياز نحو الجنوب. وبفعل التهدم والتقدم بعمران المدينة وزحفها نحو الشمال، اعيد بناؤه على الحدود التي نعرفها اليوم. على أن بعض المصادر يشير الى أن داود أول من حصنها، غير أن البعض الآخر من المصادر يقول أن المدينة كانت محصنة بحصون واسوار على ايدي اليبوسيين، وأن داود حين قرر القيام باحتلالها كان السبب الرئيس لقراره حصانتها، على أننا نميل الى القول بأن السور الاول للمدينة قد بني على ايدي سكان المدينة الاوائل ومنشئيها اول مره.

وتشير المصادر الى أن السور قد جدد أو أعيد بناؤه عدة مرات، في عهد داود، ثم في عهد الفرس، ثم في عهد الرومان، ثم رمم عدة مرات في العهود الاسلامية المختلفة، وخاصة في العهد العثماني، بأمر من السلطان سليمان القانوني، إذ استغرقت عمارته خمس سنوات فيما بين عامي (٩٤٣ - ٩٤٨ هـ) و (١٥٣٦ - ١٥٤٠ م)[٤٤]، وما زال السور على الهيئة التي انتهت اليها العمارة هذه و يمكن ملاحظة الخريطة المرفقة التي تبين مقارنة بين هيئة المدينة وسورها في القديم، وهيئتها وسورها في الجديد.

وجدير بالاشارة أن السور في هيئته الحالية له سبعة أبواب معظمها قام على أنقاض أو في مواضع ابواب السور القديم، والابواب على التوالي.

١) باب العمود

وهو الباب الذي يدخل المدينة منه الآتي من الناحية الشمالية الغربية، اي من شمال فلسطين، وكان العرب يسمونه باب دمشق، واليهود تسميه باب شكيم اي باب نابلس، ولا نعرف على وجه الحقيقة لماذا سمي بباب العمود، وهذا الباب لم يكن في السور القديم، لأن المدينة لم تكن قد توسعت الى المنطقة التي يقع فيها وقت ذلك السور.

٢) الباب الجديد:

و يقع في الناحية الغربية من المدينة جنوب غرب باب العمود، و يعرف ايضاً بباب السلطان عبد الحميد، وهو أقرب ابواب السور المؤدية الى كنيسة القيامة، وهو حديث.

٣) باب الخليل:

وهو الباب الذي يدخل المدينة منه الآتي من الناحية الغربية والغربية الجنوبية. و يعرف ايضاً بباب يافا، كما ورد ذكره في بعض المصادر باسم باب ابراهيم. وجدير بالذكر أنه يقع في نقطة التقاء السور القديم بالسور الجديد الحالي.

٤) باب النبي داود:

وهو باب صغير يقع مكان مقام النبي داود على جبل اكرا أو جبل صهيون ولذلك يسميه اليهود بهذا الاسم، وهذا الباب يقع في المنطقة التي يتحد فيها السوران القديم والحالي كما يمكن ملاحظة ذلك من المخطط المرفق.

٥) باب المغاربة:

و يقع في الجانب الجنوبي من السور، وهو صغير نسبياً لذا سمي بالباب الصغير، و بعض المصادر تذكره بباب القمامة لانه يفتح على ناحية وادي الجبانه او التربيون الذي يعتقد أنه كان وادي القمامة، والبعض يسميه بباب الموتى لنفس السبب من علاقته بوادي الجبانه، وموضعه لا يتصل بالسور القديم،

بل انه يكون في موضع داخله كما يلاحظ من المخطط المرفق، وسمي عند العرب بباب المغاربة لان الداخل منه يفضي الى حارة المغاربة التي دمرها الاسرائيليون بعد حرب عام ١٩٦٧م، لتوسيع ساحة حائط البراق عند المسلمين حائط المبكى عند اليهود، التي يفضي الباب اليها، كما أن هذا الباب يعتبر أقرب الابواب الى المسجد الاقصى من الناحية الجنوبية والجنوبية الغربية.

٦) **باب الاسباط:**

وهو الباب الذي يدخل المدينة منه الآتي من الناحية الشرقية، واسمه الاسباط تحريف للاسم (ساباط) تحريف الاسم (يهوشافاط) اسم الوادي الذي يطل عليه الباب، هذا الاسم الذي يعني كما سبقت الاشارة وادي القضاء وهو وادي قدرون نفسه، نذكر هذا خلافاً لما يعتقده البعض من أن اسم هذا الباب انما نسبة لاسباط اسرائيل، وجدير بالاشارة ان هذا الباب عرف في المصادر باسم باب السباع، و يقع الباب عند نقطة التقاء السور الجديد بالسور القديم.

٧) **باب الزاهره:**

وهو الباب الذي يدخل المدينة منه الآتي من الناحية الشمالية، وعرف بباب هيرودس، و يبدو انه هو المقصود بباب ساحة الجيش في العهد الروماني، و يقع الباب في السور الحالي.

وجدير بالذكر أن باباً في السور ما زال مغلقاً، هو الباب الذهبي و يقع في السور الشرقي الى جنوب باب الاسباط وكان يفضي الى وادي قدرون وقد أغلقه سليمان القانوني التركي، وتقوم بمحاذاة السور عنده اليوم مقبرة المسلمين.

شروحات ومراجع

١) انظر حول التضاريس والمناخ:
G.A. Smith, The Historical Geography of the Holy Land, (اكثر من موضع)
وانظر: د. حسن ظاظا، القدس، ص ١١.

٢) الايات ٦٧.٦٩ من سورة البقرة.

٣) الجثمانية: كنيسة تقوم على هذه الحديقة تعرف عند المسلمين بكنيسة سيدتنا مريم، وفيها مجمع كنائسي لبعض الطوائف، بنيت على أنماط عمرانية تعتبر آية في جمال الفن العمراني المتنوع.

٤) انجيل متى، الاصحاح ٢٤: ٣ ـ ١١.

٥) د. حسن ظاظا، الفكر الديني الاسرائيلي، ص ١٣١.

٦) الزيتون: اسم الشجر المعروف وثمره واحدتها زيتونه، كما ورد في قوله تعالى: «والتين والزيتون وطور سنين...» (من الاية ١ من سورة التين).
وحسب القاموس فقد استعملت افعال عربية اشتقت من هذا الاسم تدل على الدهن، كقولك: زت الطعام أزيته زيتاً جعلت فيه الزيت، ومنه ازدات فلان اذا دهن نفسة بالزيت.
اما عن اصل هذا الاسم، فيبدو انه عرف كعلم على هذا الشجر وثمره لما يستخرج منه من الدهن وهو الزيت، عرف هذا الاسم عند الساميين جميعا فهو في العربية زيتون يصح ان يكون على القياس صيغة جمع مذكر سالم من المفرد زيت، والذي يرجح هذا انه بنفس الصيغة ورد في العبرية (זֵיתִים زيتيم) مفرده (זַיִת زايت) بمعنى زيتون وزيتونة، فقد جمع بالياء والميم الصيغة المقابلة بالواو او الياء والنون من جمع المذكر السالم العربية، فالى جانب العربية والعبرية يوجد هذا الاسم في اللغة الحبشية (ዘይቲ زيتي) ـ تقرأ طبعا من اليسار الى اليمين ـ بمعنى زيتون، كما يوجد في اللغة الارامية (زَيْتَا ܙܰܝܬܳܐ) بمعنى زيتون او شجرة الزيتون.

٧) سفر الملوك الاول، ١١: ١ ـ ٨.
٨) من الاية ١٠٢ من سورة البقرة.
٩) من الاية ١٥ من سورة النمل.
١٠) من الاية ٣٠ من سورة ص.
١١) انظر: (مواضع مختلفة) J. Frazer, Folk - Lore in the O.T.
وانظر: (مواضع مختلفة) H. Smith, Man and his Gods,
١٢) سفر ارميا، ٥١ : ٢٥ ، ٢٦.
١٣) عرف بوادي الجبانة، لانه كان في ماضيه موضعا للرعاه يصنعون فيه الجبن هذا رأي، ولكن ربما كانت هذه التسمية بسبب دفن الموتى في جنوبه فلفظ الجبانة يدل على المقبرة في العربية.
١٤) انظر حول المادة:
- الفيروز أبادي، القاموس المحيط مادة (ص و ي).
- الاب لو يس كوستاز، القاموس السرياني.
- (גזר) W. Gesenius, Hebrew and English Lexicon of the O.T.
١٥) المزمور ١٣٧ : ١ ـ ٣.
١٦) د. حسن ظاظا، القدس، ص ١٣.
١٧) انظر: S. Grayzel, A History of the Jews, Map. P 166
وانظر: The Encyclopedia of the Bible, Map, P. 124.
١٨) سفر التكوين، ١٤: ١٨ و ١٩.
١٩) المقصود بقوله من هناك، من ارض سدوم بعد سخط قوم لوط حسب نص سفر التكوين في الاصحاح ١٩، وارض الجنوب جنوب فلسطين قرب سيناء فالاماكن قادش وشور وجرار اسماء اماكن في هذه المنطقة حسب دائرة معارف التوراه، وهذا النص من التكوين الاصحاح ٢٠ : ١.
٢٠) التكوين اصحاح ٢٠ : ٣
٢١) قال له اذهب الى ارض الموريا ولم يقل الى جبل الموريا كما هو المقصود بالجبل ، واغلب الظن ان ارضا اخرى معروفة لابراهيم قريبة من مكان اقامته في الجنوب في ارض ابيمالك تعرف بهذا الاسم، وذلك لما هو واضح في النص من ان الجبل المقصود سيحدده الله لابراهيم، ذلك الجبل الذي لم يذكر في النصوص اللاحقة لهذا النص، ولا يمكن بحال ان تعتبر ارض الموريا هي ارض مدينة القدس، المعروفة لابراهيم باسمها شاليم كما اشرنا، فالارض المقصودة ارض اخرى غير ارض القدس على الصحيح.
٢٢) سفر التكوين: اصحاح ٢٢: ١، ٢.
٢٣) سفر التكوين: اصحاح ٢٢: ١٣، ١٤.
٢٤) د. حسن ظاظا، القدس، ص ١٤.

٢٥) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ٣ (هامش رقم ٧).
٢٦) د. حسن ظاظا، القدس، ص ١٥.
٢٧) الاب لو يس كوستاز، القاموس السرياني.
W. Gesenius, Hebrew and English Lexicon of the O.T.
٢٨) سفر يوئيل، ٣ : ٢
٢٩) نفس السفر: ٣:١٢.
٣٠) سفر يوئيل، ٣: ١٤.
وانظر حول هذا الوادي
The Encyclopedia of the Bible. Items, (Jehoshat), (Kedron).
٣١) عارف العارف، المفصل في تاريخ التاريخ القدس، هامش ص ٣ (العمود الثاني).
٣٢) Hebrew and English Lexicon of the O.T., W. Gesenius., Itm (יהושפט ונחלה)
٣٣) سفر الملوك الثاني، ٢٠: ٢٠.
٣٤) سفر اشعيا، ٨: ٥ ـ ٧.
٣٥) عثر على هذا النقش عام ١٨٨٠ م، و يمكن الاطلاع على رسم النقش وترجمته في اللغتين العبرية والعربية، في كتاب اللغات السامية، لاسرائيل ولفنسون، ص ٨٢، ٨٣).
٣٦) سفر الملوك الاول، ١: ٣٣، ٣٤.
٣٧) Encyclopedia of the Bible, Item (Gehenna)
٣٨) سورة البقرة، آية ٢٠٦.
٣٩) انظر حول هذه الكلمة، كتابنا ١١ لمحات في فقه اللغة (تاريخ واصول) ص ٧٧ و ٧٨
٤٠) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، رقم ٦ من هامش ص ٣.
٤١) The Encyclopedia of the Bible, Item (Ophel)
٤٢) د. حسن ظاظا، القدس، ص ١٧.
٤٣) Hebrew and English Lexicon of the O.T..W. Gesenius, Item יְרוּשָׁלַיִם
٤٤) انظر The Encyclopedia of the Bible, Item (Jerusalem)
وانظر: عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ٢٦٥، عمود ٢.

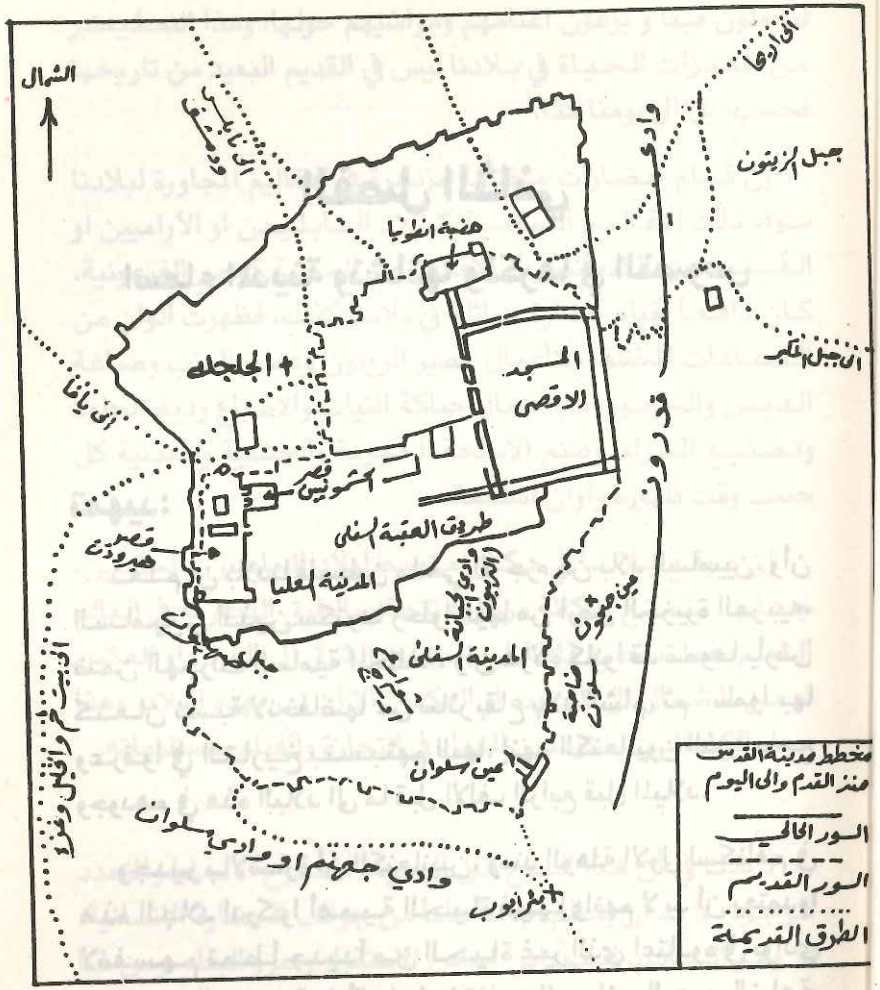
الشمال
جبل الزيتون
هضبة انطونيا
الجلجلة
المسجد الاقصى
طريق العقبة السفلى
المدينة العليا
المدينة السفلى
عين سلوان
وادي جهنم او وادي سلوان
مخطط مدينة القدس منذ القدم والى اليوم
السور الحالي
السور القديم
الطرق القديمة

الفصل الثاني

اسماء المدينة ونشاتها وذكرها في النصوص

تمهيد:

نعلم ان بلادنا فلسطين ما هي الا جزء من بلاد الساميين، وأن الساميين الذين سكنوها رحلوا اليها من ارض الجزيرة العربيه، ضمن الهجرات السامية المختلفة، وان هؤلاء كانوا قد سموها بأرض كنعان نسبة لانخفاضها عن سائر بقاع بلاد الشام، ثم سموا بها وعرفوا في التاريخ بنسبتهم اليها. إنهم الكنعانيون الذين يرجع وجودهم في هذه البلاد الى ما قبل الالف الرابع قبل الميلاد.

وجدير بالاشارة أن الكنعانيين، ومنذ الوهلة الاولى لسكناهم في هذه البلاد ادركوا أهمية الحياة فيها وانهم لا بد أن يعتمدوا لانفسهم نمطاً جديداً من الحياة غير الذي اعتادوه في بوادي الجزيرة العربية، فاقبلوا يشتغلون الى جانب الرعي بالزراعة، فزرعوا الحبوب واشجار الزيتون والكروم، ونتائج الحفريات قد أوقفتنا على ادلة مختلفة تدعم هذا، فما زلنا نرى في كل مكان من هذه البلاد آثار معاصر الزيتون وآثار معاصر العنب منحوتة كلها في الصخر، فضلا عن آثار بيادر الحبوب وصوامع حفظها.

لما كانت الزراعة تتطلب حياة الاستقرار، فقد ادى هذا بالكنعانيين الى أن ينشئوا المدن والقرى قريباً من المزارع والحقول، فيعملون فيها و يرعون اغنامهم ومواشيهم حولها، وهذا النمط يعتبر من مميزات الحياة في بلادنا ليس في القديم البعيد من تاريخها فحسب، بل الى يومنا هذا.

إن قيام حضارات مختلفة مزدهرة في الاقاليم المجاورة لبلادنا سواء تلك الاقاليم السامية كبلاد البابليين او الآراميين او الفينيقيين الكنعانيين أو الاقاليم غير السامية كمصر الفرعونية، كان دافعاً لقيام حضارة مماثلة في بلادنا كذلك، فظهرت الوان من الصناعات المختلفة، كأعمال عصير الزيتون وعصير العنب وصناعة الدبس والخمور، ثم اعمال حياكة الثياب والاصباغ ودبغ الجلود وتصنيع الفراء، وصنع الاسلحة الحجرية والخشبية والمعدنية كل حسب وقت ظهوره واوان استعماله.

إن موقع بلادنا في مكان متوسط لبلاد الساميين والحاميين، جعلها تتمتع بمكانة مركزية تتحكم بالطرق التجارية في العالم القديم، فما تستطيع قافلة ان تصل من الشرق الى الغرب او العكس او من الشمال الى الجنوب او العكس، الا أن تمر بهذه البلاد، وهذا جعل الكنعانيين يستوعبون العمل في التجارة والقيام بمستلزماته.

لا شك في أن هذا النوع من الحياة المتنوع الانماط والمتعدد الوجوه، لا بد أن يتطلب جانباً هاماً من جوانب الحضارة الانسانية، الا وهو الجانب العمراني اساس الاستقرار ومبرر البقاء. ومن هنا ازدهرت اعمال البناء وحفر الصخور عند اجدادنا الكنعانيين، فكان حفر الصخور بقصد السكن بادىء الأمر، ثم تطور الامر الى اقتطاع الحجارة و بناء البيوت. هذا الامر ادى بهم الى اختطاط الاحياء والقرى ثم المدن الكبيرة، التي كانت تتطلب منهم حمايتها في الكثير من الاحيان بناء الاسوار. ولهذا فربما كانت من أوائل

المدن الكنعانية القديمة، مدينة القدس الى جانب اريحا والخليل ونابلس وغيرها من المدن الفلسطينية على طول البلاد وعرضها، من البحر الى النهر.

لقد تفرعت عن الكنعانيين بطون مختلفة كالفينقيين والاموريين واليبوسيين، وكل منهم سكن بقعة خاصة به في ناحية من انحاء البلاد. كان حظ اليبوسيين أن سكنوا منطقة القدس، و بنوا مدينتهم فيها وسموها باسمهم، فعرفت بالاسم يبوس أو مدينة اليبوسيين.

يبوس:

إن الاسم يبوس والذي لم تحدثنا المصادر بسبب اطلاقه على هؤلاء اليبوسيين، نقول انه من المادة الكنعانية (ب و س) بمعنى الخشونة والقسوة، وتوجد هذه المادة في عبرية العهد القديم، بمعنى الوطء بالأقدام والسفل: «فدست (בּוּס) شعوباً بغضبي واسكرتهم بغيظي واجريت على الارض عصيرهم».[1] وقد وردت في السريانيه (ܒܘܣܐ بُوسا) بمعنى صغير، حسب القاموس السرياني للاب لو يس كوستاز. وأما في اللغة العربية، فقد وردت مادة (ب و س) ومنها باس بمعنى خشن.[2]

و يبدو أن الاسم يبوس من هذه المادة قد عرف به هؤلاء الناس لخشونتهم وقوة بأسهم اذ تفيدنا المصادر أن مدينة القدس استطاعت أن تصمد في وجه الغزاة ليس لحصانتها فحسب، بل لشجاعة اهلها اليبوسيين وقوة بأسهم، وسيمر بنا ذلك فيما بعد. لقد ثبت أن مدينة القدس اورشليم هي نفسها مدينة يبوس، وذلك لما ورد في العهد القديم: «فلم يرد الرجل أن يبيت بل قام وذهب وجاء الى مقابل يبوس هي اورشليم ومعه حماران مشدودان وسريته معه.»[3] ولنرى الآن متى وكيف ومن؟! أطلق هذا الاسم (اورشليم) على المدينة.

اورشليم:

واضح مما سبق ان الاسم يبوس كعلم على هذه المدينة كان اسماً عاماً لها ولأهلها اليبوسيين، وأن الاسم اورشليم قد اطلق عليها في فترة متقدمة من تاريخ نشأتها في عهدهم، بل انهم هم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم، وليس هناك احد سواهم أطلقه عليها.

ان الاسم اورشليم ولدى تحليله تحليلا لغو يا نلاحظ أنه مركب من مقطعين: (أور) و (شاليم)، وهذا الاسم المركب جاء متأخراً، فقد سبقته مرحلة متقدمة حين عرفت المدينة باسم (شاليم) فقط بمعنى السلام، و يبدو ذلك من خلال ذكرها في العهد القديم لأ ول مرة بهذا الاسم، حين جاء اليها ابراهيم عليه السلام[4] في حوالى (١٩٠٠) قبل الميلاد.

والاسم شاليم مشتق من المادة السامية العامة (س ل م)، مع مراعاة وجود السين المهموسة في لغة والشين في لغة اخرى، بل ان اسم المدينة ورد أحياناً بالشين واحياناً بالسين. والمادة تدل في الاصل على معنى التمام والكمال، وتوجد بهذا المعنى في اللغة الكنعانية بسائر لهجاتها الفينيقية والحيثية والعبرية على حد سواء، فهي (שָׁלֵם شالم) بمعنى بقي سالماً مكتملا لم يمس بسوء أو نقصان. ولقد اشتقت من هذه المادة اشتقاقات مختلفة نراها حية في اللغة العبرية اليوم بدلالات مجردة مختلفة، نذكر منها (שָׁלוֹם شَالُوم) بمعنى سلامة وتمام واكتمال. ومنها (שִׁלֵם شِلِم) هدية أو تقدمة للمودة والصحبة. ومنها (שָׁלַם شَالام) بمعنى الدخول في حلف للسلام والصداقة. واشتقاقات من الاسماء الكثيرة جداً يطول بنا الحديث لو تتبعناها جميعاً، مما يدل على اصالة هذه المادة في اللغة الكنعانية.

وتوجد المادة في اللغة الآشورية (سلامو Salamu) بنفس دلالاتها الرئيسية في الكنعانية من معاني التمام والكمال والسلامة.

كما توجد في اللغة الآرامية بمختلف لهجاتها(ܫܠܡ شليم) بنفس الدلالة ايضاً، السلامة والتمام، ومنها اشتقاقات كثيرة ما زالت موجودة في اللغة السريانية الى يومنا هذا، ونذكر منها (ܫܠܡܘܬܐ شَلْمُوتا) بمعنى كمال واتحاد. و(ܫܠܡܘܡܘܬܐ شَلُومُوتا) بمعنى اتفاق. و(ܫܠܡܬܐ شَلَمْتا)، (ܫܠܡ شَلْما) بمعنى سالم وصحيح. و(ܫܠܐ شْلاما) بمعنى أمن وطمأنينة.

وكذلك في اللغة العربية السبئية (سلم) بمعنى سلام وسلم وأمن. ومن خلالها توجد في اللغة الحبشية (*) (ሰላም سَالَمْ) بمعنى أمن وسلام[٥].

اما عن هذه المادة في اللغة العربية، فانها تعتبر من أوسع المواد انتشاراً من حيث الاشتقاقات والدلالات، فالمادة (سلم) تدل على الحفظ والصون من كل فساد ونقص، وابتعاد من الأذى للانسان وغيره، ومن هنا جاء قوله صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم الناس من لسانه و يده». ومن هذه المادة جاء اسم الاسلام بمعنى الانقياد والتسليم. والسلام بمعنى الامن والاطمئنان[٦].

واضح مما سبق أن الاسم شاليم اسم سامي أصيل، يدل على الكمال والتمام والامن في جميع اللغات السامية. اما عن وجوده علماً خاصاً عند الكنعانيين سكان بلادنا فلسطين فقد كان سابقاً على اطلاقه على المدينة، اذ كان اسماً للالة (شالم) إله السلام والامن عند الكنعانيين.

وعليه فقد تكون المدينة قد عرفت باسم هذا الاله اي مدينة (شالم) هذا الاسم الذي ذكرت به في اسفار العهد القديم لمرات بلغت ستمائة وستا وخمسين[٧]. وذلك لقاء اله الرعب الكنعاني اله النار (مولك) الذي كانت تقدم له اضحيات من الاطفال، و يعبد قريباً من المدينة في الوادي المعروف بوادي جهنم كما سبقت الاشارة[٨].

اما عن المقطع (أور) المقطع الاول من اسم المدينة (اورشليم). فيبدو انه اقحم على اسم المدينة في وقت متأخر بعد ان عرفت بالاسم (شالم) متفرداً ولعل ذكرها في نصوص العهد القديم بالاسم المركب فقط ست مرات، يصلح دليلا على ما قلنا، بل يمكن القول ان الاسم شالم متفرداً كان غالباً على الاسم المركب.

ولنرى فيما يلي اصول هذا الاسم (أور) ومعانيه في اللغات السامية، ذلك الاسم الذي اختلف فيه الباحثون وفي معناه، هل هو بمعنى موضع أو مدينة، او ميراث، أم انه تحريف للاسم الذي اطلقه ابراهيم (يراه) بمعنى يرى او بمعنى خوف فتحول الى (يرو)!!؟.

ان الاسم (أور) ولدى تتبع مصادر اللغات السامية، توجد مادته فيها جميعاً من خلال الجذر الثلاثي الواضح في تركيب الاسم، الهمزة والواو والراء.

إن هذا الاسم أول ماورد استعماله، كان في ارض العراق كاسم لمدينة أور في الجنوب تلك المدينة التي يحدد المؤرخون قيامها في حوالي عام ٦٦٠٠ ق. م، ولقد ذكرت في العهد القديم على أنها مدينة أبي ابراهيم عليه السلام وقد خرج منها في رحلته التي انتهت في بلادنا فلسطين: «واخذ تارح ابرام ابنه ولوطا بن هاران ابن ابنه وساراي كنته امرأة ابرام ابنه. فخرجوا معا من أور الكلدانيين ليذهبوا الى ارض كنعان...[٩]»

على ان بعض الباحثين ذهب الى ان هذا الاسم (أور) اسم آشوري يقابل الاسم العبري (٦٦ עיר عير) بمعنى مدينة او بلدة اعتمادا على قلب العين في الساميات همزة في اللغة الاشورية[١٠]». وهذا جد خطأ، لما نعلمه من وجود مادة (أور) بالهمز الحقيقي في سائر الساميات بمعنى مختص لا علاقة له بالمادة (ع ي ر) مما سنراه.

ان الدلالة الاولى لمادة (اور) في الساميات عامة تدل على النور واللهب. فهي في اللغة الاشورية (أورو Uru) بمعنى ضوء ونور. وكذلك في اللغة الكنعانية وما تفرع عنها من اللهجات ومنها اللغة العبرية اليوم (אוֹר أور) بمعنى نور وضياء، وقد وردت منها اشتقاقات كثيرة بنفس الدلالة استعملت في العهد القديم للدلالة على النورين الشمس والقمر: " וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים יְהִי מְאֹרֹת בִּרְקִיעַ הַשָּׁמַיִם . . . "

والمعنى بالعربية: «وقال الله لتكن انوار في جلد السماء...»[11] بل استعملت في العهد القديم لتدل على مطلق النور والضياء: «וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים יְהִי אוֹר» والمعنى بالعربية: «وقال الله ليكن نور...»[12]

وتوجد المادة ايضا في اللغة الارامية بنفس الدلالة (אוֹר أور)[13]

اما في اللغة العربية فالمادة موجودة (أور) بدلالة عامة على النور واللهب، ومنها (الأوار) بضم الهمزة، بمعنى اللهب وحر النار والشمس والدخان والعطش وحر ريح الجنوب[14].

لعلنا بعد هذا البحث في اصل البنية والدلالة لكلمة (اور) في اللغات السامية نستطيع القول بانها تدل على النور والضياء بشكل عام، وعليه يكون في رأينا دخولها على الاسم (شالم) مناسبا ليصبح (اورشليم) بمعنى نور السلام، وهذا المعنى الاقرب الى مكانة هذه المدينة التي بدأت تاريخها بالنور القدسي كمدينة اختصت بشؤون العبادة والالوهية منذ نشأت والى ايامنا هذه، بل حتى يرث الله الارض ومن عليها.

ونقول هذا القول من ان الاسم (اورشليم) كعلم على مدينة القدس قد اطلقه اليبوسيون عليها من واقع لغتهم بعد ان زادت مكانتها في قلوبهم، وبذلوا جل جهودهم وتضحياتهم للحفاظ عليها

مدينة للسلام، ونجحوا على مدى زمن طويل في ذلك، فزادوا اسمها توهجا لتصبح نور السلام. نقول هذا خلافاً لمن قال من الباحثين ان (أور) تعني مدينة وقد سبقت الاشارة الى هذا قبل قليل. ثم نقول ذلك خلافا لمن قال بان (أور) تعني إله، ليكون اسم المدينة (إله السلام) لما نعرفه ان كلمة إله عند الساميين جميعا وفي لغاتهم كافة منحدرة من المادة (أ ي ل) الهمزة والياء واللام، والتي انحدرت من الاستعمال الارامي (אֵל إيل) لطلب العون والمساعدة، ثم الحقت بها الهاء لتصبح (أله) للدلالة على معنى العبودية لمن تطلب مساعدته وعونه وهو (الاله)، وهذا ما يوجد في سائر الساميات: ففي اللغة العبرية (אֵל إيل) ثم (אֱלֹהַּ إيلوه) ثم للتفخيم (אֱלֹהִים) وكلها من مادة (אֱלֹהַּ أله) وتدل على اسم الرب.

وكذلك في اللغة العربية (أله) تدل على الالوهية لكل معبود إله، ثم فخم بلفظ الجلالة الله.

ونلاحظ المادة في اللهجات الكنعانية المختلفة مما ينطبق عليه ما أوردناه من الحديث عليها في اللغة العبرية.

كما توجد في اللغة الاشورية (إيلو ilu) بمعنى إله.

وجدير بالذكر ان الارامية قد عادت وتأثرت بالساميات فألحقت الهاء بهذه المادة للدلالة على الرب (אֱלָהָא إلاها) بمعنى الله[15].

وعليه فيكون الادعاء بان الاسم (اورشليم) يعني (اله السلام) ادعاء باطلا، هذا مع عدم اغفال جواز اطلاق الاسم (شالم) على المدينة باعتباره لاسم الاله الكنعاني (شالم) اله السلام.

ونناقش ادعاء آخر حول الاسم (أور) بانه تحريف للكلمة (يراه) التي اطلقها ابراهيم عليه كما ورد في العهد القديم: «فدعا ابراهيم ذلك الموضع يهوة يرأه حتى انه يقال اليوم في جبل الرب يرى»[16]. هذا

النص الذي ورد شرحه في المدراش[17] على السنة الحاخامين اليهود من ان هذا اللفظ يعني الخوف، هذا النص الذي سبق واشرنا الى ان ابراهيم عليه السلام ربما يكون قد اطلقه وصفا لمكان آخر، وانه قصد به ان الله يرى، على حقيقة ان الكلمة صيغة المضارع من الفعل العبري (רָאָה رآه) بمعنى رأى ونظر، ومادته موجودة في الساميات بنفس الدلالة. اما المادة التي تدل على معنى الرعب والخوف هي ماة (יָרֵא يرىء) بمعنى خاف وفزع، وهذا في العبرية. كما انها توجد في اللغة الاشورية (إرو iru) بمعنى الرعب. وكذلك في الارامية (ירה) بمعنى خوف[18]. و يصلح هذا الرد على من يدعون بان هذه المادة هي اصل المقطع عند اليهود (يروشليم) فربما تكون من التحريف.

واضح ان هذه المادة لا علاقة لها سواء من حيث البنية ام من حيث الدلالة بالمادة (أور) بمعنى النور، وهذا دليل على بطلان الادعاء بأنها اصل المقطع الاول من تركيب الاسم (اورشليم) ليصبح معناه مدينة الخوف والسلام، فلا اساس لهذا الادعاء بعد ان اتضح من خلال ما سبق ان الكلمة (أور) بمعنى (نور) ليست من المادة (يرىء) بمعنى الخوف والرعب.

وقبل ان نفارق هذا الاسم، تبقى ملاحظة نشير اليها على عجل، حول الياء قبل الميم الاخيرة في لفظه بالعبرية (يروشالايم) فنقول انها اقحمت بفعل الخلل في النطق اذ كتب الاسم بدونها في اسفار العهد القديم غير مرة نذكر منها: « וַיִּקַּח דָּוִד אֶת־ רֹאשׁ הַפְּלִשְׁתִּי וַיְבִיאֵהוּ יְרוּשָׁלָ‍ִם (يروشالم) ...» والمعنى باللغة العربية: « وأخذ داود رأس الفلسطيني واتى به الى أورشليم...»[19]. فنلاحظ ان الاسم قد كتب في هذا النص من غير هذه الياء، بل ان علماء التلمود نصوا صراحة على وجوب كتابته من غيرها حفاظا على أصالته[20]. على ان وضع الياء قد ثبت انه ليس من بنية الاسم الاولى كما نطق به اهل المدينة و بناتها

اليبوسيون اول مرة، نقول: ان من الجائز دخول هذه الياء قبل الميم الاخيرة في الاسم، كانت بفعل مقتضيات الترتيل الديني الضروري في قراءة النصوص المقدسة - علم القراءات - فيما يعرف بأصوات النبرات في قراءة اليهود، مما لا يتسع المقام هنا للحديث عليه.

والان و بعد مناقشه المذاهب المختلفة حول تركيب اسم المدينة اورشليم ومعانيه المختلفه، نقول بان معنى هذا الاسم، انها هو (نور السلام). ولما كان الاسم (شالم) اسما لاله السلام عند الكنعانيين، اي اسم لاله معبود، فربما كانت قداسة المدينة قد جاءت منه ومنذ نشأتها.

ان اقدم الخطوط والنقوش التي ذكرت مدينة القدس، توجد في المتحف الفرعوني في القاهرة، ضمن مجموعة لوحات من الآجر مكتوبة باللغة البابلية الآشور - لغة العراق القديم - ومعها شروح باللغة الكنعانية - لغة فلسطين القديمة - تعرف هذه اللوحات بلوحات تل العمارنة نسبة الى التل الذي يعرف بهذا الاسم والذي كشف عن هذه اللوحات في خرائبه، ولقد حدث هذا الكشف في مطلع هذا القرن، واللوحات في مجموعها تعتبر من الوثائق والمراسلات السياسية التي ترجع الى عهد الفرعون امينوفيس الثالث الذي تولى الحكم في مصر في الفترة بين عامي ١٤١١ - ١٣٧٥ قبل الميلاد، وتستمر هذه المراسلات في عهد ابنه اخناتون الذي تولى الحكم على مصر خليفة لابيه في الفترة بين عامي ١٣٧٥ - ١٣٥٠ قبل الميلاد

لقد ورد ذكر مدينة القدس الى جانب مدن اخرى في هذه المراسلات باسم (اوروسالم). وتجدر الاشارة الى ان هومر سميث في كتابة «الانسان والاديان»[21]، يذكر الاسم (بيت نينورتا Ninurta - Beth) معتبراً اياه على انه اسم لمدينة القدس او لموضعها قبل ان تعرف باسمها اورشليم، هذا الاسم نينورتا و بالمقارنات اللغوية، نلاحظ انه يرتبط بالمادة السامية (ن و ر) بمعنى النور والنار واللهيب، غير انها تنحاز للدلالة على الرعب في الآرامية بتضعيف النون الاولى

(ܢܘܪܐ ننور) بمعنى ارتعب، و(ܢܘܪ نوارا) بمعنى مرتعب، ومنها (ܒܝܬ ܢܘܪܘܬܐ بيت نوروتا) بمعنى نار، ومنها (ܒܝܬ ܢܘܪܐ بيت نورا) بمعنى هيكل، فيكون هذا الاسم قد ارتبط منذ القدم بل ربما قبل عبادة الاله شاليم في المدينة، بكونها موطنا لعبادة اله النار مولك، بل بيتا للنار المرعبة، وقد ذكرت بهذا الاسم في فترة تغلب الآرامية على الكنعانية[٢٢].

إن أهم الاسماء التي وردت في لوحات تل العمارنه المسمارية كان اسم حاكم المدينة اليبوسي المعين من قبل الفرعون امينوفيس الثالث واسمه «عبد يحيبا»، الذي كتب يستنجده بطلب المدد العسكري لصد هجمات شراذم من الرحل اسمهم (حبيرو)، وهم الذين اجمع الباحثون على أنهم العبريون كما أكد ذلك الاثري «بندلبوري» الذي اشرف على الحفريات في تلك المنطقة، وذلك ضمن كتابه المشهور «حفائر تل العمارنه» والذي يشير فيه الى أن معبد آتون الذي بناه اخناتون كمعبد للديانة الموحده، هو الذي الهم الأقوام المختلفة ومنهم الساميون الى بناء المعبد الموحد الذي يكون معبدا مركزياً يتوجه اليه المتدينون بالدين، كما هو الامر في مدينة القدس[٢٣].

واذا كان هذا اول ذكر للمدينة يشير الى انها كانت تابعة لحكم مصر الفرعونية في فترة تقرب من منتصف الالف الثاني قبل الميلاد، فان هذا التاريخ لا يمكن أن يعتبر تاريخاً لبناء المدينة، ولا بد أن تكون قد بنيت في وقت سبق هذا التاريخ بما لا يقل عن الالف عام، لما نعرفه من ازدهار حضارة الكنعانيين جنباً الى جنب مع حضارة الاشوريين والحيثيين والفينيقيين، وخاصة في اعمال البناء في الفترة ما بين ٢٦٠٠ - ٢٠٠٠ قبل الميلاد[٢٤]، وهذا التاريخ يصلح ان يكون تاريخاً لبناء المدينة أول مره، مع عدم اغفال امكانية التواجد الكنعاني في بلادنا بل التواجد اليبوسي في موضع المدينة بنمط معين من الحياة، التي ربما اقتصرت على الرعي والزراعة والسكنى في الكهوف.

و يرد اسم المدينة ايضاً في نقوش الامبراطور الاشوري سنحاريب الذي يرجع تاريخ حكمه الى الفترة حول عام ٧٠٠ قبل الميلاد - ورد - على النمط الآشوري (أوروسليمو).

ونجد اسم المدينة في نقوش يونانية ترجع الى عهد الاسكندر الاكبر حوالى عام ٣٣٠ قبل الميلاد بلفظ (هيروسليما) أو (سوليما).

ثم من خلال الكتاب المقدس دخل هذا الاسم (اورشليم) الى جميع لغات العالم. أما عن الاسم بيت المقدس أو القدس فيبدو أنه واكب الاسم اورشليم منذ زمن بعيد واليك ذكره.

القدس:

قبل الحديث عن هذا الاسم كيف ومتى اطلق على هذه المدينة، نرى أن من المفيد التطرق الى اصله ودلالته في اللغات السامية على وجه العموم. فالاسم مشتق من المادة السامية العامة (ق د س) ودلالتها الحسية الاولى التنزيه والتطهير، ولقد وردت اشتقاقات عربية من هذه المادة تدل على معنى الضخامة والعظمة الى جانب التطهير[٢٥]. هذا عن وجود المادة في اللغة العربية. وقد وردت كذلك في اللغة الكنعانية بسائر لهجاتها، فهي في الفينيقية (𐤒𐤃𐤔 قدش) بالشين بمعنى مقدس، وكذلك في اللغة العبرية تماماً كالفينيقية، وكذلك توجد في اللغة الآشورية (قداسو Kadasu) بمعنى تطهر، وتوجد في اللغة الآرامية (ܩܕܫ قداشا) وتوجد في السريانية (ܩܕܫ قدش). بمعنى قدس، ومن خلال اللغة العربية توجد المادة في اللغة الحبشية.

و يبدو أن هذا الاسم (القدس) قد عرفت به المدينة في فترة متقدمة من تاريخها كصفة لمكانتها الى جانب اسميها السابقين، يبوس واورشليم، وذلك لما هو معروف من ان المدينة كانت مكاناً لعبادة آلهة قديمة للكنعانيين، مثل اله السلام شالم، واله النار مولك، وكانوا يقدسونها على انها مكاناً للتطهر من الذنوب، فالمؤرخ

اليوناني هيرودوت الذي عاش في الفترة ما بين عامي ٤٨٤ و ٤٢٥ قبل الميلاد، ذكر المدينة باسم (قديتس) ولم يذكرها باسم اورشليم، هذا الاسم الذي ربما يكون هيرودوت قد تأثر فيه بنطقه في اللغة الارامية (קדישתא قديشتا)، وهذا ما اكده المستشرق اليهودي الفرنسي سالومون مونك في كتابه (فلسطين)[٢٦]. على أن ذكر المدينة بهذا الاسم قد ورد في اسفار العهد القديم في مواضع مختلفة، فقد ذكرت بمدينة القدس مرتين الاولى وردت مقترنة باسمها اورشليم وذلك في سفر نحميا: «وسكن رؤساء الشعب في اورشليم وألقى سائر الشعب قرعاً ليأتوا بواحد من عشرة للسكنى في اورشليم **مدينة القدس** والتسعة الاقسام في المدن»[٢٧].والمرة الثانية في سفر اشعيا: «فانهم يسمون من **مدينة القدس** و يسندون الى اله اسرائيل رب الجنود اسمه.»[٢٨] وذكرت كذلك باسم جبل القدس في نفس السفر ايضاً: و يكون في ذلك اليوم انه يضرب ببوق عظيم فيأتي التائهون في ارض اشور والمنفيون في ارض مصر و يسجدون للرب في الجبل المقدس في اورشليم. وورد ذكرها ايضاً باسم مدينة الحق الى جانب اسمها اورشليم: «... واسكن في وسط اورشليم فتدعى اورشليم مدينة الحق...».[٢٩] كما اسندت لله في سفر المزامير: «عظيم هو الرب وحميد جداً في مدينة إلهنا جبل قدسه»[٣٠].

ولعل هذه النصوص تدلل بشكل قاطع أن الاسم (القدس)، قد واكب مواكبة مستمرة الاسم اورشليم على مر العصور والايام، وان هذا الاسم لم يأت عرضاً او بفعل فكر كاتب هذه النصوص وحسن قريحته الادبية، بل بفعل تاريخ طو يل من الايمان القدسي الذي اكتنف ذكر هذه المدينة منذ نشأتها في التاريخ، تلك القدسية التي ادت الى عدم التوقف عند تسميتها بمدينة القدس، بل تجاوزت الى اسنادها مدينة لله جل شأنه، وما دامت قد ارتفعت الى هذا الحد فلا يجوز الرجوع بها و بقدسيتها الى الوراء فتسند لاناس من خلق الله كأن يقال بأنها مدينة داود.

لقد ثبت مما سبق مواكبة الصفة القدس للموصوف تلك المواكبة التي استمرت في تاريخ طو يل، الى أن تغلب الموصوف، فتوقف ذلك الموصوف وتقدمت الصفة لتصبح عل على المدينة، فصارت مدينة القدس ومدينة بيت المقدس هي المعروفه على السنة المتدينين بالاديان جميعاً، ولقد توطد هذا الاسم القدس و بيت المقدس في الاستعمال على السنة العرب مسيحيين ومسلمين على حد سواء، والمطلع في سائر كتب التراث لا يقف على ذكر لهذه المدينة الا بهذا الاسم.

وتتعرض المدينة لاحداث كثيرة في تاريخها الطو يل، كان من بينها ما تعرضت له في عهد الرومان من أحداث ادت الى تغيير اسمها من اورشليم و بيت المقدس والقدس، الى الاسم (ايليا كابيتولينا) هذا الاسم الذي يرجع تاريخ اطلاقه على المدينة الى النصف الاول من القرن الثاني للميلاد، حين كانت المدينة تحت السيطرة الرومانية، واستمر الى ان حل الفتح الاسلامي في زمن عمر بن الخطاب.

و يتركب الاسم (ايليا كابيتولينا) من مقطعين: (ايليا) نسبة لاسم الامبراطور الروماني ايليوس هدريان. والمقطع الثاني (كابيتولينا) نسبة لمعبد الكابيتول. وسنتطرق بالحديث على هذه الاحداث وسبب اطلاق هذه التسمية فيما بعد.

شروحات ومراجع

١) سفر اشعيا، ٦٣:٦

٢) ورد في القاموس ان البوس بمعنى التقبيل معرب اي انه ليس من باس بمعنى خشن العربية، والفيروز ابادي محق في قوله على البوس بمعنى التقبيل انه معرب، وذلك لان هذه الكلمة دخيلة على العربية من الفارسية فهي (بوس) بمعنى تقبيل، تابع لها في اللغة الفارسية (بوسه جين) بمعنى لاثم، وهذا حسب المعجم في اللغة الفارسية.

٣) أ ـ The Encyclopedia of the Bible, Item (Jebusites)

ب ـ القضاء، ١٩:١٠

٤) سفر التكوين، ١٤:٨.

*) الحبشية تقرأ من اليسار الى اليمين.

٥) الاب لويس كوستاز، القاموس السرياني.

A Hebrew and English Lexicon of the O.T.,W. Gesenius, Item

(שָׁלֵם)

٦) الفيروز ابادي، القاموس المحيط (السلم).

٧) د. حسن ظاظا، القدس، ص ٩.

٨) انظر تفصيل القول حول هذين الالهين في ختام هذا البحث.

٩) سفر التكوين، ١١:٣١.

١٠) انظر: حامد عبد القادر وزميله، الامم السامية، هامش صفحة ٧١، نقلا عن بعض الباحثين الغربيين.

١١) سفر التكوين، ١:١٤

١٢) سفر التكوين: ١:٣.

١٣) A Hebrew and English Lexicon of the O.T., W. Gesenius, Item (אֵל)

١٤) الفيروز ابادي، القاموس المحيط (الاوار).

١٥) انظر حول المادة (ا ي ل) المراجع التالية:

- الاب لويس كوستاز، القاموس السرياني، مادة (אֵל).
- الفيروز ابادي، القاموس المحيط مادة (اله).

A Hebrew and English Lexicon of the O.T., W. Gesenius, Item

(مواضع متعدد) (אֵל)

١٦) سفر التكوين، ١٤:٢٢.

١٧) د. حسن ظاظا، القدس، ص ٩.

١٨) ابراهيم ابن شوشان، القاموس المركز (عبري ـ عبري).

A Hebrew and English Lexicon of the O.T., W. Gesenius, Item

(אֱלֹהִים)

١٩) سفر صموئيل الاول، ١٧:٥٤.

٢٠) د. حسن ظاظا، القدس، ص ٩

وانظر: Encyclopedia Biblica, Item (Jerusalem).

٢١) انظر: H. Smith, Man and his Gods , P.58.

٢٢) انظر الحديث على تاريخ العبادة في المدينة في ختام هذا البحث.

٢٣) د. حسن ظاظا، القدس، ص ٧،٨.

٢٤) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ٢.

٢٥) ابن منظور، لسان العرب.

وابن فارسي، معجم مقاييس اللغة (ق د س).

والفيروز ابادي، القاموس المحيط

٢٦) د. حسن ظاظا، القدس، ص ٨.

٢٧) سفر نحميا، ١١:١

٢٨) سفر اشعيا، ٤٨:٢.

٢٩) سفر زكريا، ٨:٣

٣٠) مزمور ٤٨:١

الفصل الثالث

القدس وامم العالم القديم

يعتبر اليبوسيون بحق من فروع الكنعانيين الفلسطينيين الذين عاشوا في بلادنا منذ وقت بعيد في التاريخ. ولقد سبقت الاشارة الى اصل تسميتهم ومعنى هذه التسمية، من انهم كانوا اشداء أقو ياء استطاعوا انشاء مملكة لهم في مدينتهم يبوس القدس، كما استطاعوا الحفاظ عليها امام هجمات الغزاة والطامعين وبشتى الوسائل، الحرب أو الاحلاف، مرة مع الآشوريين وأخرى مع المصريين، الى أن استطاع داود السيطرة على المدينة واتخاذها عاصمة لملكه في اوائل الالف الاول قبل الميلاد[1].

لم يكن اليبوسيون بمعزل عن العصر الذي عاشوا فيه حضارياً، فالى جانب ما تعلموه من الوان الحضارة من الامم التي حولهم، تعلموا من فنون الحياة ومتطلباتها كل ما يلزم، وبخاصة في المجال العمراني والديني والتجاري، فبنوا مدينة القدس في موضع ربما على انقاض بلدة قديمة تدعى (بيت نينورتا)[2]، هذه البلدة التي لا تحدثنا المصادر كثيراً عنها ربما كانت في موقع المدينة اليوم او في موقع آخر قريب.

ومهما يكن من أمر، فلا يعرف تاريخ محدد لنشأة مدينة القدس اول مرة، ولقد سبقت الاشارة الى النصوص التي ذكرت فيها المدينة، مما يؤكد اعتقادنا انها انشئت وازدهرت كمدينة يبوسية ذات شأن في حوالي ٢٦٠٠ قبل الميلاد، ضمن مجموعة من المدن الكنعانية التي ما زالت قائمة او منتشرة آثارها في انحاء بلادنا، كحبرون (الخليل) وشكيم (نابلس)، وبيت شأن (بيسان) ومجدو (خرائب تل المتسلم اليوم قرب جنين) وبيت ايل (بيتين اليوم) وجيزر (تل الجزر) وعسقلان وغزه[3]. كل هذه المدن شكل اهل كل واحدة منها مملكة مستقلة عن الاخرى، يربطها نظام تحالف موحد على نمط الممالك الكنعانية في تلك الايام.

ولأهمية مدينة القدس وقداستها، دار خلاف حول نشأتها ومن انشأها أول مرة، رغم ثبات الرأي القائل بأن بناتها الاوائل هم اليبوسيون، ولعل من أهم الآراء المخالفة والذي نراه جديراً بالمناقشة، ذلك الرأي القائل بأن أول من بناها وسكنها سام بن نوح وسماها، وانها ترجع في نشأتها الى سيدنا نوح عليه السلام، وهذا ما جاء على السنة أحبار اليهود[4]، وهذا الادعاء لا يقوم عليه اي دليل عملي الا التكهن، فذكر المدينة في نص التوراة من العهد القديم يرد لأول مرة حين جاء اليها ابراهيم عليه السلام في حوالي عام ١٩٠٠ قبل الميلاد وذكرت باسمها (شالم)[5] ذلك الاسم اليبوسي الذي سبقت الاشارة اليه من حيث اطلاقه على المدينة لارتباطها بعبادة اله السلام الكنعاني (شالم).

لقد بلغ اليبوسيون درجة عالية من الاستقرار والمنعة في مدينتهم، بل انهم استطاعوا ان يصمدوا في وجه الغزاة والطامعين، وبخاصة في وجه الهجمات الاسرائيلية قبل عصر داود واستيلائه عليها في حوالي عام ١٠٠٠ قبل الميلاد. وكانت المدينة تدخل في أحلاف مع الامم المجاورة، والدليل على ذلك ما ذكرنا في الفصل السابق من المراسلات التي ارسلها حكام المدينة الى مصر والعراق، يطلبون فيها النجدة والعون، و يعقدون الأحلاف مع ملوك وامراء

المدن، الكنعانية المجاورة، و يتضح ذلك من خلال نصوص تل العمارنة، ونقش الملك سنحاريب الآشوري، ونصوص العهد القديم تقر بذلك، وسنذكرها فيما بعد.

إن من المعلوم ان ابناء يعقوب بن ابراهيم عليهم السلام، قد عاشوا في بلادنا الى أن غادروا الى مصر مع يوسف الذي اصبح شخصية ذات شأن فيها، تلك المغادرة التي يجمع الباحثون على أنها حدثت زمن استيلاء الهكسوس على مصر في فترة أعقبت عام ١٨٠٠ قبل الميلاد[٦]. اي انهم دخلوا في اقدام الغازي (*)، واستمروا الى حوالي عام ١٥٠٠ قبل الميلاد حين خرجوا بصحبة موسى عليه السلام يقصدون بلادنا، التي لم يقدر لموسى دخولها، بل مات في أرض مؤاب، وترك قيادة بني اسرائيل لفتاه يوشع بن نون، وعلى اختلاف المصادر والباحثين حول تاريخ دخول يوشع بن نون أرض فلسطين نقول انه كان في الفترة التي اعقبت المائة الخامسة عشرة قبل الميلاد. فقد دخل عبر نهر الاردن الى مدينة اريحا التي فتحها عنوة بعد حصار طويل، يحدثنا العهد القديم على الوان القتل والتنكيل الذي اعمله بنوا اسرائيل بأهلها وممتلكاتهم: «وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف»[٧] والمقصود بقوله (حرموا) ذبحوا، ثم أتى على سائر المدينة بالنار: «وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها. إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب»[٨]. لقد ارتكب يوشع بن نون و بنوا اسرائيل خطأ فادحاً في فعلتهم هذه بمدينة اريحا بحق انفسهم من الناحية الحربية، وتمثل ذلك من خلال الخوف وعدم الثقة الذي حل باهل فلسطين حين سمعوا بخبر اريحا، فعقدوا العزم على القتال حتى الموت، مما ادى بجميع الممالك الفلسطينية الى التكتل والتحالف ضد هذا الغزو الوحشي الذي لم تحدثنا المصادر على مثيل له في العالم القديم عند سائر الخلق والاقوام من الساميين او من غيرهم، ولنستمع للعهد القديم يحدثنا بأخبار هذه الاحلاف التي كان مركز محورها مملكة القدس

والداعية لها مليكها: «فلما سمع ادوني صادق ملك اورشليم أن يشوع قد أخذ عاي وحرمها (*) كما فعل بأريحا وملكها فعل بعاي وملكها.... خاف جداً.... فأرسل ادوني صادق ملك اورشليم الى هوهام ملك حبرون وفرآم ملك يرموت (*) و يافيع ملك لخيش (*) ودبير ملك عجلون يقول: «اصعدوا الي واعينوني فنضرب جبعون (*) لأنها صالحت يشوع و بني اسرائيل»[٩].

وحدث فعلا أن اتحدت الممالك الفلسطينية كلها في حلف عسكري منيع ضد هجمات الاسرائيليين في حرب طال أمدها اكثر من خمسمائة عام، وجدير بالاشارة أن العهد القديم يصف غضب الرب على بني اسرائيل لممارستهم النهب والقتل ضد الفلسطينيين ما ادى بهم الى الضعف امام تحالف الفلسطينيين: «قد أخطأ اسرائيل بل تعدوا عهدي الذي أمرتهم به بل أخذوا من الحرام بل سرقوا بل أنكروا بل وضعوا في امتعتهم. فلم يتمكن بنوا اسرائيل للثبوت امام اعدائهم يديرون قفاهم امام اعدائهم لأنهم محرومون ولا أعود اكون معكم إن لم تبيدوا الحرام من وسطكم»[١٠].

لعل هذا النص يوضح مخالفات هؤلاء القوم لما أوصى به الله موسى عليه السلام من النواهي عن أعمال الشر، تلك الوصايا التي ألقى بها بنو اسرائيل جانباً بعد موت موسى ومفارقتهم لقبره.

ان ما ذكرنا من النصوص انما يصف ممارسات بني اسرائيل ضد الفسطينيين وممالكهم ومن بينها مملكة القدس اليبوسية التي صمدت في وجه الهجمات الاسرائيلية اكثر من غيرها، فتميزت بالذكر في العهد القديم من أن اهلها لم يغادروها حتى بعد أن تمكن منها بنو اسرائيل، وذلك ما نقف عليه في اكثر من موضع: «وأما اليبوسيون الساكنون في اورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم الى هذا اليوم»[١١]. فهذا النص يبدو أنه مقحم على سفر يوشع، فمن الثابت ان بني اسرائيل لم يستطيعوا السيطرة على المدينة في عهده، بل حدث

هذا الاستيلاء على فترات متعددة واحوال متقلبة دون الاستيلاء التام، حسب ما نفهم من سفر القضاة: «وحارب بنو يهوذا اورشليم واخذوها وضربوها بحد السيف واشعلوا المدينة بالنار»[١٢]. ورغم ذلك فالاشارة واضحة في موضع لاحق من هذا السفر الى أن بني اسرائيل لم يستطيعوا السيطرة التامة على المدينة وطرد اهلها اليبوسيين منها: «و بنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان اورشليم فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في اورشليم الى هذا اليوم»[١٣]. وإن كانت هذه النصوص تشير الى أن سيطرة بني اسرائيل قد حدثت في بداية عهد القضاة، فان ذلك مما لا يقوم عليه دليل عملي غير ما ورد في هذه النصوص التي تروي أحداث الاستيلاء على المدينة باسلوب من التناقض والتشو يش، و يبدو ذلك من خلال استعمال الكاتب لعبارة (الى هذا اليوم) في آخر النص، وهذا يدل على أن الكاتب ليس من أهل فترة تلك الاحداث، بل انه ينقل عن روايات سمعها او يستلهم ذاكرته او ذاكرة غيره من بني قومه حول ذكريات احداث بعيدة. واذا كان ما ذكرنا من النصوص التي تشير الى استيلاء بني اسرائيل على المدينة، وقد وردت هذه النصوص في الاصحاح الاول من سفر القضاة، فاننا نقف على نصوص لاحقة في نفس السفر في الاصحاح التاسع عشر، مما يشهد على أن المدينة ما زالت تحت سيطرة اليبوسيين اهلها ولم يسيطر عليها الاسرائيليون، بل لا يوجد فيها اسرائيلي واحد، ونستمع: «فلم يرد الرجل أن يبيت (*) بل قام وذهب وجاء الى مقابل يبوس هي اورشليم ومعه حماران مشدودان وسريته معه. وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر جداً قال الغلام لسيده تعال نميل الى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها. فقال له سيده لا نميل الى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بني اسرائيل هنا، نعبر الى جبعه»[١٤].

من هذه النصوص يتضح بشكل قاطع ما اشرنا اليه من أن مدينة القدس كانت حصينة بأهلها اليبوسيين الاقو ياء و بمنعة موقعها، بحيث بقيت في صراع مع بني اسرائيل في مدى خمسمائة عام من

الزمن تقريباً منذ خرجوا من مصر في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد والى عهد داود الذي عاش في مطلع الالف الاول قبل الميلاد، تعرضت فيها المدينة لهجمات الاسرائيليين وغاراتهم، فمرة يدمرون أو يحرقون، واخرى ينتابهم اليأس فيسالمون و يبتعدون عنها، وأهلها فيها يدفعون عنها غوائل الشر، بل يحفظونها مدينة للامن والسلام بل مدينة (نور السلام)، الى أن حل عصر داود الذي تمكن من السيطرة على المدينة بعد حرب ضروس ولنستمع للحكاية من خلال نصوص العهد القديم رغم اختلاطها وتشو يشها.

المدينة وداود:

يحسن قبل الحديث عن المدينة وداود، أن نذكر باختصار الحال التي اصبح عليها الاسرائيليون بعد موت يوشع بن نون، تلك الحال التي سادت فيها الفوضى وارتداد الكثير من الاسرائيليين الى ديانات الكنعانيين وعبادة اوثانهم كبعل وعشتروت، مما ادى ببعض زعماء بني اسرائيل الى ان يهبوا للدفاع عن عقيدة موسى عليه السلام وردع الاسرائيليين وارجاعهم الى جادة الصواب، ومواصلة الحرب وتوجيهها ضد الفلسطينيين سكان البلاد الاصليين، وهؤلاء الزعماء نعرفهم بالقضاة، الذين يحدثنا العهد القديم عن جهودهم في توحيد اسباط اسرائيل لمواصلة الحرب، و يبدو أن هذه الجهود قد نجحت في تحو يل بني اسرائيل من طور البداوة والقبلية الى طور من الاستقرار، بحيث استفادوا من الممالك الفلسطينية في الرغبة بأن يكونوا في نمط من الحكم الملكي الموحد، وتصادف قيام النبي صمو يل الذي نجح في اقناع الاسرائيليين بتتو يج شاؤول ملكاً عليهم، ذلك الملك الذي انهزم أمام الفلسطينيين في حروب دارت رحاها في الانحاء الشمالية من فلسطين، فما كان منه الا ان انتحر بسيفه[١٥]. و يحدثنا بهذه الاحداث سفر صموئيل الاول، الذي نقف من خلاله على الحروب المريرة التي خاضها الاسرائيليون مع الفلسطينيين بقيادة ملكهم

الجبار جالوت، الذي استطاع داود قتله، وحمل رأسه متجهاً به من الشمال الى الجنوب حيث يسكن قومه ليفاخر بشجاعته، وفي طريقه مر باورشليم مدينة اليبوسيين. وهذا الامر خلق شعبية هائلة لداود في اوساط الاسرائيليين، هذه الشعبية التي ادت الى تتو يجه ملكاً عليهم بمجرد موت شاؤول.

منذ تولي داود الملك، فكر في نقل مقر الحكم من الشمال الفلسطيني قرب مدينة نابلس، الى موقع متوسط اكثر حصانة، فوجد مطلبه هذا في مدينة القدس، التي تتوسط البلاد، وخاصة القطاع الجبلي الذي تركز الوجود الاسرائيلي فيه منذ دخولهم الى فلسطين، كما شجعه الموقع الطبيعي الحصين للمدينة الذي تحدثنا عليه سابقاً، هذا فضلا عن أن الفلسطينيين الذين كانوا يسكنون في منطقة القدس والجنوب كانوا اقل ميلا للعنف والحرب، من فلسطينيي الشمال، وذلك للفارق الهام بينهم من حيث طبيعة العيش، فالشماليون كانوا مزارعين مستقرين يدافعون عن منازل وممتلكات واراض زراعية يعيشون فيها. في حين ان الجنو بيين، يعيشون على رعي الاغنام والمواشي، والاستقرار وملكية الارض في حياتهم أمر نسبي، وهذا رسخ دافع القتال في نفوس الشماليين اكثر منه في نفوس الجنو بيين، لهذا الامر نلاحظ أن حروب بني اسرائيل تركزت كلها في الشمال وليس في الجنوب، على الحد الفاصل بين الجبال والسهول، التي لم يستطع الاسرائيليون السيطرة عليها حتى في أوج عظمة ملكهم في عهد داود وسليمان.

لقد كانت مدينة القدس من الناحية المدنية في تلك الفترة تقسم الى قسمين: المدينة السفلى، وتنتشر ابنيتها حول جبل الاقصى شرقاً، والمدينة العليا وتنتشر ابنيتها غر باً الى أن تنتهي بجبل صهيون حيث كان اليبوسيون قد شيدوا على رأسه حصناً منيعاً للدفاع عن المدينة وحمايتها. اتجه داود الى المدينة، وحاصرها حتى قدر له الاستيلاء على هذا الحصن والنصف العلوي من المدينة، واسكن فيه ذو يه من

سبط يهوذا، متخذاً هذا الموقع مقراً لحكمه، مما ادى الى التعريف عليه بمدينة داود، هذا التعريف الذي عممه اليهود فيما بعد على المدينة كلها، بل للرفعة التي نالها داود في أعين الاسرائيليين، اطلق منذ تلك الفترة اسم سبطه وعمم على الاسرائيليين، فصاروا يعرفون باليهود، ولاقامة داود على رأس هذا الجبل وهو صاحب المزامير وتراتيلها، اطلق الاسم صهيون عليه وقد سبق حديثنا عليه، ثم اتخذ هذا الاسم عنواناً قومياً لليهود في العصر الحديث، وكأن اليهودية عرق نبع وانبثق من فوق رأس هذا الجبل الصغير، وكل ما كان قبلا ينسى و يسكت عنه.

لقد بقي اليبوسيون في المدينة رغم ذلك، فانحازوا من غر بها الى شرقها، حيث تركزت حياتهم حول جبل الأقصى أمام ضغط اليهود الذين احتلوا مساكنهم في المدينة العليا، وظلوا عرضة للضغط والتوسع ومحاولات الطرد من المدينة[١٦]، واليبوسيون بما بقي في ايديهم منها، ومحاولات الطرد والاستيلاء مستمرة بمختلف الوسائل التي منها الاغراء بالمال والشراء، وحسب روايات اليهود انفسهم التي يحدثنا بها استاذنا الدكتور حسن ظاظا، كان مسطح جبل الاقصى لرجل يبوسي اسمه (آرونا) اشتراه منه داود، وجعل من الصخرة التي في ذلك المكان مذبحاً للرب، هذه الروايات التي لا يقوم عليها اي دليل عملي[١٧]. و ينتهي عصر داود و يأتي عصر سليمان، وتزدهر القدس ازدهاراً حسناً كعاصمة لليهود لها علاقة حسنة مع الممالك من حولها.

ولعل أهم ما ميز فترة حكم سليمان وداود في القدس هو بناء هيكل سليمان، ذلك البناء الذي اكتنفته روايات مختلطة متناقضة، سواء من حيث موقعه أم من حيث ابنيته ومحتواه، مما لا أجد كبير فائدة في تتبع تلك الروايات ومقارنتها، فهي تنتشر في الكثير الكثير من المصادر مما يتوفر الاطلاع عليه لمن رغب فيه بسهولة و يسر. ولكن الذي اوده في هذا الموقع من الكلام ان أقول: هل يجوز لذكرى بناء اندثر منذ زمن بعيد أن تكون مبرراً للسطو والقتل والحريق

والهدم للناس ومقدساتهم من غير اليهود؟! هل يرضى الله الذي تمارس هذه الافعال باسمه بهذا؟! فاذا كان الامر الهيا فان الله لا يقبل أن تهدم بيوته وان تحرق، أو أن يقتل المؤمنون به فيها، فالعبودية له في كل زمان ومكان، و يرث خلقه اذا آن الأوان.

و بعد سليمان تولى الحكم ابنه (رحبعام) ابن سليمان الذي ثارت عليه قبائل الاسرائيليين وانفصلوا في مملكة أخرى في الشمال، و بدأ عصر من النزاع بين المملكتين عجل في انهيارهما، لما رآه المحيطون بهم من نزاعهم، فتشجعوا على الهجوم عليهم، فبدأت الممالك الفلسطينية والآرامية تهاجم المملكتين، الى ان تقدم الفرعون المصري (شيشنق) واحتل مدينة القدس ونهبها و بخاصة محتو يات الهيكل والقصر. وتستمر هجمات المصريين على مملكتي اليهود الى أن يتمكنوا في عهد الفرعون نخاو الثاني من السيطرة على مملكة يهوذا في اواخر القرن السادس قبل الميلاد، وعلى عادة المصريين الذين كانوا لا يتدخلون في حكم البلاد الداخلي، بل يكتفون بتعيين تابع لهم من أهل البلاد، يعينون ملكاً موالياً لهم هو يو ياكين.

و يحل دور عدو آخر، وهم الاشوريون الذين تمكنوا من القضاء. على مملكة الشمال بعد هجمات متوالية انتهت بالسيطرة التامة عليها عام ٧٢٢ قبل الميلاد بقيادة سرجون الثاني. و يواصل الآشوريون هجماتهم من بعد على مملكة يهوذا الى ان يتمكنوا من القضاء عليها نهائيا عام ٥٨٦ قبل الميلاد في عهد بختنصر[١٨]، ليبدأ عهد جديد من تاريخ اليهود هو عهد السبي في ارض العراق الذي استمر اكثر من سبعين عاما حسب مقارنة السنين المذكورة كتأريخ للاحداث.

وتبقى مدينة القدس من بعد تحت السيطرة الآشورية كغيرها من المواقع الفلسطينية التي صارت خطوطاً عسكرية متقدمة للاشوريين في حربهم ضد مصر الفرعونية، وفحوى هذا القول تنبىء ان المدينة قد خربت وحل بها الدمار.

ثم أفل نجم الدولة الآشورية البابلية، بعد استيلاء الفرس على بابل عام ٥٣٩ قبل الميلاد بقيادة كورش، فدانت له مواقع الآشوريين واتباعهم، ومن بينها بلادنا فلسطين، بما فيها مدينة القدس. و يبدو من خلال نتائج الاحداث، ان اليهود كانوا قد هيأوا المساعدة للفرس في القضاء على الاشوريين، فطلبوا لقاء ذلك العودة الى القدس و بناء اسوارها واعادة بناء الهيكل، و بين اخذ ورد وتعاقب الملوك الفرس، ومن خلال الحاح اليهود في هذا الطلب، يوافق الفرس على تحقيق هذه الرغبة. وتشير المصادر التاريخية الى ان الممالك الفلسطينية بادرت الى الاعتراض لدى الفرس على اعادة المدينة الى اليهود والسماح لهم بالعودة اليها، و يوافق الفرس على هذا الاعتراض و يرفضون مطلب اليهود[١٩]. غير ان اليهود لم يكفوا الطلب، بل واصلوا الالحاح به مستغلين كل الادوات والوسائل، فظهر اعلام من اليهود ممن قاموا بهذه المهمة حتى تحققت، نذكر منهم زرو بابل بن شلتئيل وعزرا ونحميا، و يمكن تتبع هذه الاحداث في العهد القديم في اسفار عزرا ونحميا، ونورد هذا النص: «وفي شهر نيسان لأرتحشستا الملك كانت خمر امامه فحملت الخمر وأعطيت الملك. ولم اكن قبل مكمدا اماهه. فقال لي الملك لماذا وجهك مكمدٌ وانت غير مريض. ما هذا الا كآبه قلب. فخفت كثيرا جدا وقلت للملك ليحيا الملك الى الابد. كيف لا يكمد وجهي والمدينة بيت مقابر آبائي خراب وابوابها قد اكلتها النار. فقال لي الملك ماذا طالب انت. فصليت الى اله السماء. وقلت للملك اذا سر الملك واذا احسن عبدك امامك ترسلني الى يهوذا الى مدينة قبور آبائي فأبنيها. فقال لي الملك والملكة جالسة بجانبه الى متى يكون سفرك ومتى ترجع. فحسن لدى الملك وارسلني فعينت له زمانا»[٢٠]. و يواصل النص الرواية الى ان ينتهي بالاشارة الى بناء الهيكل الثاني الذي يعتبر مدار خلاف بين الباحثين[٢١] من حيث الموقع والشكل تماما كالخلاف الذي دار حول الهيكل الاول.

وعاد اليهود الى القدس تحت السيطرة الفارسية في فترة قصيرة

من القرن الخامس قبل الميلاد لم تتمتع بلادنا بأسرها بأي لون من الوان الاستقرار فيها، لما تميزت به هذه الفترة من استمرار الصراع التقليدي بين مصر الفرعونية غرباً والدولة الاشورية شرقاً والتي ورثتها الدولة الفارسية، التي استمرت سيطرتها المتقلبة المتناوبة مع المصريين الى ان حل عصر اليونان في اواخر القرن الرابع قبل الميلاد.

ان تاريخ مدينة القدس في هذه الفترة يبدو مشوشا مختلطا، فلم تحدثنا المصادر بشيء عن وضعها العمراني او السكاني مما يبعث على الاعتقاد بأن المدينة كانت لا تعرف الاستقرار على الاطلاق، بل كانت مهمتها ومهمة اليهود بالذات فيها مقتصرة على تقديم اللازم للجيش الفارسي في حربه او تمركزه على الخطوط المتقدمة قرب الحدود المصرية. وفي غمرة هذه الاحداث، يظهر الفاتح اليوناني الشهير الاسكندر الكبير الذي حارب الفرس ودحرهم الى الشرق، وتم له الاستيلاء على مدينة القدس عام ٣٣٢ قبل الميلاد. وتذكر لنا المصادر المختلفة[٢٢] تنكر اليهود لحلفائهم الفرس منذ لحظة سماعهم بانتصارات الاسكندر على الفرس، وذلك حين خرجوا من المدينة مرحبين بجيشه الذي كان عماده الفينيقيون الكنعانيون والمقدونيون اليونان وكانوا يؤملون قتل اليهود كعملاء لعدوهم الفارسي وفتح المدينة بالقوة ونهبها، هذا الامر في حد ذاته ربما كان من الاسباب الهامة لانقلاب اليهود على الفرس واتخاذهم هذا الموقف الموالي للاسكندر ولجيشه.

بالنظر لما ذكرنا من اعتماد جيش الاسكندر على جند من الفنيقيين الذين هم من الكنعانيين، وبعد فتحه لمدينة القدس توطد الوجود الكنعاني في مدينة القدس وحولها من جديد الى جانب اليهود، أولئك الكنعانيون الذين هم من عرب الجزيرة اصلا، فقد كان لهم وجود سياسي وعسكري هام في فترة الحكم اليوناني في هذه البلاد، حتى ان أحد ملوكهم قد ناصر أحد القادة اليونانيين ضد قائد يوناني آخر[٢٣].

لم يطل عمر الاسكندر بعد احتلاله هذه البلاد، اذ مات وترك امصار ملكه يتقاسمها قادة جيوشه، فكان حظ سوريا بما فيها فلسطين ان يحكمها سلوقس و يؤسس الدولة المعروفة في التاريخ بالسلوقية، واما مصر فقد حكمها بطليموس واسس فيها الدولة البطلمية، وكان ذلك في حوالي عام ٣٢٠ قبل الميلاد. ومعنى ذلك ان مدينة القدس قد خضعت لحكم السلوقيين. غير ان الحرب تنشب بين الدولتين، و يحقق البطالمة نصرا على السلوقيين، و يحتلون القدس عام ٣١٠ قبل الميلاد، و يصبون جام غضبهم على اليهود و يسبونهم الى مصر وذلك لميلهم وتعاونهم مع السلوقيين. و يستمر وضع المدينة في فترة سيادة هاتين الدولتين التي استمرت حتى عام ٦٣ قبل الميلاد التاريخ الذي وقعت فيه المدينة تحت السيطرة الرومانية - يستمر وضعها - في التنازع بين هاتين الدولتين اليونانيتين مرة يحتلها البطالة ومرة يحتلها السلوقيون، واليهود لما اتصفوا به من التدخل في شؤون الغزاه ينالهم الخير او الشر والتنكيل على مشيئه الحظ والقدر اذا تغلب محبهم على مبغضهم او العكس. لاقوا ذلك دون غيرهم من سكان البلاد الاصليين من الاسر الكنعانية العربية، للسبب الذي ذكرنا، بالاضافة الى ان الكنعانيين كانوا في اعمالهم سواء الحرفية ام الزراعية لا يحاولون التدخل في شؤون هذه الدول التي استوت في نظراتهم اليها على ان اصحابها غزاة طارئون.

وجدير بالاشارة، ان اليهود امام قهر اليونان لهم والمضايقات الاجتماعية والدينية التي تعرضوا لها، قاموا بثورات ضد هؤلاء اليونان كان من اهمها ثورة المكابيين[٢٤].

والمتتبع بتوسع وفي مختلف المصادر[٢٥]، يلاحظ ان مدينة القدس في العهد اليوناني وخاصة في القرن الثاني واوائل القرن الاول قبل الميلاد، كانت في حال من التقلب وعدم الاستقرار، بحيث يمكن القول انها ما كانت تتمتع بأي من المظاهر الحضارية التي تجدر بالاهتمام والدرس، بل يمكن القول بأن مظاهر الحضارة اليونانية

العظيمة في التاريخ الانساني لم تترك بصماتها على الوجه الحضاري العتيد لهذه المدينة، ولعل ما يدعيه اليهود[٢٦] من استقرار وحسن حال في المدينة ابان تلك الفترة وخاصة فيما يتعلق بالبيت الثاني، انما هو من قبيل المكابرة والادعاء التاريخي فحسب.

يبدو ان قدر هذه المدينة المقدسة قد قرره الله تعالى بألا يكون لاحد فيها استقرار، ففي معترك الفتنه بين الاخو ين السلوقيين اليونانيين اريسطو بولس الذي اعتصم في المدينة، واخيه هيرقانوس الذي حاصرها بمساعدة العرب الفلسطنيين، وصلت القوة الرومانية الى أوجها، فاستنصر اريسطو بولس قيصر روما بومبي على أخيه، ذلك القيصر الذي كان قد بدأ احتلاله لسوريا عام ٦٦ قبل الميلاد، فلبى النصرة وزحف على القدس واحتلها عام ٦٣ قبل الميلاد، وتم له بذلك ليس السيطرة على القدس فحسب، بل على سائر بلادنا فلسطين، واضعا بذلك الحد لدولة السلوقيين اليونان نهائيا في هذه البلاد.

تقبل سكان البلاد الفلسطينيون حكم الرومان لنفس الاسباب التي تقبلوا من أجلها حكم الغزاة السابقين من الاشوريين الى المصريين الى الفرس فاليونان، تلك الاسباب التي عمادها تمسكهم بالارض بكل معنى الكلمة كزراع او رعاة او حرفيين، يعملون على ارضهم بكل صمت يفلحون و يبنون و يرسون دعائم حضارة كشفت لنا عن آثارها الحفائر في العصر الحديث، ولعلهم في اعماق نفوسهم قد تعلموا درساً تاريخياً حضارياً فحواه، ان الغازي يغدو و يروح، والارض لله ولمن يغرس أقدامه فيها وان في التاريخ لعبرة.

اما اليهود، فيبدو انهم لم يتقبلوا هذا الامر لواقع نفسي تأصل في صدورهم عماده انهم شعب الله المختار، فلم يهادنوا الرومان، فما كان من بومبي إلا ان قتل منهم في مدينة القدس وحدها ١٢٠٠٠ نفس، واعمل التدمير والخراب في ممتلكاتهم واحيائهم في المدينة وخاصة الهيكل. ومن ثم راح يلاحق المكابيين الثوار حتى اسكن

جلبتهم وشتت شملهم. بل ان بومبي تنكر لاريسطو بولس الذي استنجد به بأسره وارسله الى روما.

و ينتهي بومبي و يتولى الحكم مكانه يوليوس قيصر عام ٤٩ قبل الميلاد، الذي تهاون مع اليهود، وسمح لهم بشيء من الاستقلال في شؤونهم العامة في القدس، فظهر من بينهم شخصيات من بقايا المكابيين، راحوا يتنازعون فيما بينهم على السلطة. ولسوء حظهم ان بعضا من الاسر الكنعانية قد بدأت في التعاون مع الرومان، بل ظهر منهم زعماء اخلصوا النية للرومان، ومن هؤلاء كان هيرودس الادومي الذي يعتبر من اهم اعلام تلك الفترة من تاريخ بلادنا.

بتشجيع من الرومان الذين كلفوا هيرودس بانشاء دولة مستقلة لحسابهم في فلسطين، اعمل القتل والدمار في اليهود وممتلكاتهم في القدس، ليفتح بابا للصراع مع اليهود لم يكن اقفاله سهلا، حتى انه اعتنق الديانة اليهودية واعاد اعمار الهيكل و بنى القلاع وحصن مدينة القدس، و بنى السور على مغارة المكفيلة (*) في مدينة الخليل الذي يعتبر عماد الحرم الابراهيمي اليوم، مؤملا مهادنة اليهود من غير جدوى[٢٧].

يجدر بالذكر ان ميلاد السيد المسيح حدث في اواخر حكم هيرودس الادومي، ذلك الميلاد الذي تحول ليس بالقدس وفلسطين فحسب بل بالعالم أجمع، الى منعطف حضاري وانساني جديد، مما يدفعنا الى الحديث بشيء من الاهتمام عن بلادنا فلسطين بعامة وعن القدس على وجه الخصوص في هذه الفترة.

شروحات ومراجع

١) د. حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، ص ٨٣.
٢) H. Smith, Man and his Gods, P.58
٣) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ١، (العامود الاول)
٤) د. حسن ظاظا، القدس، ص ٩.
٥) سفر التكوين، ١٨:١٤، ولقد سبق ذكر النص.
٦) H. Smith, Man and his Gods, PP. 53,89
*) لعل دخول بني اسرائيل في اقدام الغازي الهكسوسي الى مصر، كان سببا لنقمة المصريين عليهم حين تمكنوا من طرد الهكسوس من مصر، فقتلوا اطفالهم واستحيوا نسائهم واستعبدوهم، وهذا ما اشرنا اليه في كتابنا (خليل الرحمن العربية) هامش رقم (٤٨). وجدير بالذكر ان النص القرآني يؤيد ما ذهب اليه الباحثون من ان رحيل ابناء يعقوب كان مع الهكسوس او في فترتهم، وذلك اذا تتبعنا ذكر مصر وحكامها في القرآن، فنلاحظ انها ذكرت مرات عديدة وفي مواضع مختلفة مع نكر حاكمها باسم فرعون، الا في سورة يوسف عليه السلام بحيث لم يذكر حاكمها باسم فرعون ابدا بل ذكر باسم الملك، الذي يعتبر لقبا للحاكم عند الاسيويين والهكسوس منهم، ونذكر هذه الايات في هذا المقام فقد قال تعالى: «وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهم سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يأيها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون» (آية ٤٣ من سورة يوسف). وقوله تعالى: «وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم» (آية ٥٠ من سورة يوسف)، قوله تعالى: «قال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين». (آية ٥٤ من سورة يوسف)، وقوله تعالى: « قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم» (آية ٧٢ من سورة يوسف)، وقوله تعالى: «فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم» (آية ٧٦ من سورة يوسف).

٧) سفر يشوع، ٢١:٦
٨) سفر يشوع، ٢٤:٦
*) حرمها: قتل اهلها بحد السيف.
*) يرموث: احدى الممالك الكنعانية الرئيسية الخمسة في فلسطين وموقعها في الجنوب، وتعرف اليوم بخبرة اليرموك.
*) لخيش: من الممالك الكنعانية الرئيسية، وتقع خرائبها شمال غربي القدس على بعد ٣١ ميلا.
*) من اهم المدن الكنعانية وتقع خرائبها شمال غرب القدس على مسافة ٥ اميال، وجدير بالذكر ان اهلها صالحوا يوشع وتحالفوا معه ضد الممالك الكنعانية كما هو واضح في النص المذكور.
٩) سفر يشوع، ٤١:١٠
١٠) سفر يشوع، ١٢،١١:٧
١١) سفر يشوع، ٦٣،١٥
١٢) سفر القضاة، ٨:١
١٣) سفر القضاة ٢١:١
*) حكاية هذا الرجل انه لاوي ارتحل بزوجه من بيت لحم جنوب القدس الى الشمال حيث يسكن في منطقة رام الله، وادركه المساء قرب القدس، فلم يستطع المبيت فيها لانها لم تقع في يد الاسرائيليين قومه بعد فتجاوزها الى مكان آخر فيه قومه وهي جبعون قرب القدس وقد كانت تحت سيطرتهم (انظر الهوامش السابقة)
١٤) سفر القضاة، ١٩: ١٠ ـ ١٢
١٥) د. يونس عمرو، خليل الرحمن العربية، ص ١٣، ١٤.
١٦) د. حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، ص ٨٣
١٧) د. حسن ظاظا، القدس، ص ١٨
١٨) يمكن الاطلاع على احداث هذه الفترة في العهد القديم في سفري الملوك واخبار الايام الاول والثاني في مواضع متفرقة. كما يمكن الرجوع الى:
The Intepreters Dictionary of the Bible, Item (Jerusalem)
١٩) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ١٨
٢٠) سفر نحميا، ٢: ١ ـ ٦
٢١) انظر هذا الخلاف في:
The Intepreters Dictionary of the Bible,Item (Jerusalem) P.854
٢٢) ذكر هذه المصادر ونقل عنها الاستاذ عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس ص ٣٣،٣٦

٢٣) المرجع السابق، ص ٣٩ (العمود الاول).

٢٤) للتعريف بهؤلاء المكابيين نذكر ما اوردنا عنهم في كتابنا خليل الرحمن العربية (هامش رقم ٣٤): لقد اختلف الباحثون في اصل هذا الاسم، فمن قائل ان الاسم مكابي تحريف للفظ (مقبي) بمعنى المطرقة، لقب به احد زعماء اليهود لبأسه، ومن قائل ان الاسم اختصار في الحروف الاولى للكلمات التي شكلت العبارة الواردة في نشيد انتصار موسى على فرعون والتي تقول: «من كمثلك بالالهة يا رب» (الخروج ١٥:١١)، وان هذه الحروف (م.ك.ب.ي.) قد نقشت على خاتم قائد المكابيين، والمكابيون حملوا لواء الثورة ضد السلوقيين اليونان في بلادنا وقد ساهموا في القضاء على دولتهم باضعافها حين حل دور الرومان للسيطرة على هذه البلاد، و يروي سفران من العهد القديم اخبار المكابيين هما سفرا المكابيين الاول والثاني.

٢٥) – المرجع السابق، ص ٣٣ - ٣٩

– د. حسن ظاظا، القدس، ص ٢٤

– The Interpreters Dictionary of the Bible, Item, (Jerusalem) P. 856 - 859

٢٦) انظر حول ذلك תולדות ישראל בימי הבית השני. (ومواضع اخرى من الكتاب) ١٥٤ - ١٥٩.

*) المكفيلة: هذا الاسم الذي عرف به الغار الشريف في الحرم الابراهيمي في مدينة الخليل والذي ابدي الباحثون غموض هذا الاسم، نقول ان اسمه صيغة المكان في اللغات السامية وخاصة في اللغة العربية فهو مكفلة بمعنى مكان النظير ونظيره، واطلقت هذه التسمية على هذا الغار لأن الانبياء الاجداد، دفنوا فيه كل تناظره او تقابله زوجه، ولزيادة الاطلاع حول هذا الاسم يمكن الرجوع الى كتابنا (خليل الرحمن العربية) ص ٣٠ - ٣٣.

٢٧) – The Incyclopedia of the Bible, Item (Herod)

– د. حسن ظاظا، القدس، ص ٢٦.

الفصل الرابع

القدس في العصر المسيحي

ولد المسيح عليه السلام في اواخر حكم هيرودوس الكبير الذي استطاع ان يوجد شيئاً من الاستقرار في فلسطين ابان حكمه، ذلك الاستقرار الذي انتهى بموته، مما حدا بالرومان الى التحول بحكم فلسطين بما فيها القدس من الحكم الاقطاعي المحلي اللامركزي الى الحكم المركزي التابع لسوريا وعاصمة الروم فيها انطاكية، فعين الرومان حكاماً رومانيين بدلا من الحكام المحليين، وكان ذلك بعد فشل ابن هيرودس في القيام بمهام الحكم خلال سني حُكمه بعد موت ابيه. ولما كانت القدس موطن الاضطرابات لتركز وجود اليهود فيها واحتكاكهم بالسكان من الكنعانيين و بالرومان، قرر الرومان نقل مقر الحكم من القدس الى قيسارية[1] على شاطىء البحر المتوسط وصار الاتصال بروما مباشرة وليس من خلال حاكم سوريا، مما جعل السطوة الرومانية في البلاد تزداد تعمقاً.

لقد ازدهرت مدينة القدس ازدهاراً عمرانياً واتسعت رقعة المدينة في تلك الفترة التي سبقت واعقبت ميلاد السيد المسيح، وذلك بجهود هيرودس العمرانية وجهود من تبعه من الحكام الرومانيين، ولعل أهم الابنية التي كانت بارزة في القدس قصره والبرج الذي سماه باسم هيبيكوس وهو البرج الذي يعرف خطأ الآن ببرج داود في

الناحية الغربية من المدينة قرب باب الخليل، كما اصلح الاسوار، وبنى الابراج، وواصل الحكام الرومان الاهتمام بالمدينة، ومنهم الحاكم الروماني بيلاطس الذي اهتم بتنظيم شوارعها واعادة رصفها وجلب لها المياه من نبع العروب قرب الخليل. وكان الاستقرار عزيزاً في المدينة بسبب ثورات اليهود وتذمرهم ومخالفاتهم حتى للرب نفسه في الهيكل وحوله، هذه المخالفات التي كانت مبرراً لبعثة السيد المسيح عليه السلام، وسبباً في نقمة الرومان عليهم، فقد دأبوا على خلق المشاكل للرومان وعلى فترات متعاقبة وردود الفعل الرومانية نذكرها باختصار:

١) أمر أغريبا الاول، باحكام الرقابة على اليهود في القدس وتشديد الرقابة عليهم ورصد تحركاتهم في الهيكل وحوله من قلعة انطونيا (*) المطلة عليه.

٢) ابان دعوة السيد المسيح عليه السلام احدث اليهود فتنة كبيرة، فأمر القيصر الروماني كليوديوس بوضع تمثال لنفسه في الهيكل، وبقي الى أن مات هذا القيصر عام ٥٤ للميلاد.

٣) في عهد الامبراطور الروماني فسبازيان، استفحل شر اليهود في القدس فأرسل هذا الامبراطور ابنه تيتوس، فدمر الهيكل واحرقه واجلى جميع اليهود من القدس، هذا الاجلاء الذي عرف في التاريخ بالسبي الثاني، وعند اليهود يعرف ببداية عصر التشتت وكان فعل تيتوس هذا في الثامن من شهر كانون الاول عام ٧٠ للميلاد.

٤) ولكن يبدو أن جلاء اليهود عن القدس بخاصة وعن فلسطين عامة اثر خراب الهيكل الثاني على يد تيتوس لم يكن نهائياً، بل ربما يكون قسم منهم قد عاد بصورة أو أخرى. عادوا وعادت ثوراتهم على الرومان من جديد، ولعل أهم ثورة لليهود تلك التي انتهت عام ١٣٦م وهي التي قام بها (بركوخبا) (*) ضد الرومان، وسجل فيها على جيوشهم انتصارات كان لها وقع سيء في نفوسهم فبادر الامبراطور ايليوس هدريان باحكام ما

فعله تيتوس ضد اليهود فهدم ما تبقى لهم من اطلال او اثر في مدينة القدس، وأقام في مكان هيكلهم معبداً لكبير آلهة الرومان (جوبيتر) ونصب فيه تمثالا لهذا الاله كتمثاله القائم في معبد الكابيتول في روما، كما بادر بتغيير معالم كثيرة في المدينة حتى انه غير اسمها من اورشليم الى ايليا كابيتولينا - الذي سبق واشرنا اليه - على نية منه بقطع الصلة بينها وبين اليهود نهائيا، بل استحدث تشريعاً يحظر على اي يهودي دخولها وكل من يخالف تكون عقوبته الموت، هذا التشريع الذي استمر حيناً من الدهر[٢].

مولد السيد المسيح عليه السلام:

لعلنا فيما ذكرنا من أمر مدينة القدس في العجالة الماضية من القول، نكون قد أظهرنا صورة مبسطة لحال المدينة في فترة مولد المسيح عليه السلام، تلك الفترة التي يمكن أن نصفها بالخلل الديني واختلاط الأمر على اليهود كوارثين ظاهرين لعقيدة التوحيد في هذه المنطقة، دون اغفال امكانية تدين بعض الاقوام من غيرهم بهذه العقيدة على دين نوح عليه السلام تلك الامكانية التي لايقوم عليها دليل سوى افتراض بقاء بقية من المخلصين من اتباع الانبياء من نوح الى ابراهيم واسماعيل واسحق. فقد خالف اليهود احكام الشريعة الموسوية واضاعوها في غمرة ما تعرضوا له من الاحداث، بل خرجوا في الكثير من الاحوال عن نهج عبادة الله الحقة، ومارسوا اعمال الشر والفساد امام الرب وهذا ما يحدثنا به العهد القديم في مواضع مختلفة، تلك الاعمال التي استفحلت في فترة ميلاد المسيح، فكانت فترة فراغ ديني بمعنى الكلمة.

وقبل الخوض في الحديث على السيد المسيح ومولده ودعوته وعلاقته بمدينة القدس، نرى من المفيد عرض اسمائه على الدرس اللغوي، فنرى مبانيها ومعانيها واصولها، فالاسم المسيح، صيغة من

المادة السامية (م س ح)، فهي في الآشورية (مساحو Masaha)، وفي الارامية وما انبثق عنها (مشحا مْشَاح) وفي الكنعانية وما انبثق عنها كالعبرية (מָשַׁח ماشح) وفي الحبشيه (መሰሐ مَسَح). وجاءت هذه الصفة من المسح المقدس كعادة عند الساميين القدماء أخذ بها اليهود في تنصيب الكاهن او النبي أو الملك، حين كان يمسح على رأسه بالزيت، واستمراراً لهذه العادة وصف المسيح عليه السلام بهذا الوصف.

اما الاسم يسوع، فهو تحول بالشين الى السين في اللغة العربية من التركيب العبري (يشوع) الذي يعتبر مركباً من مقطعين الاول (يو) وهو مأخوذ من اسم الرب عند الاسرائيليين (يهوه) و (יְהוֹשׁוּעַ شوع) كصوت لطلب الاستغاثة، وقد استعملت في العهد القديم في اكثر من موضع بهذا المعنى ونذكر منها: (هوذا صوت استغاثة (יְהוֹשׁוּעַ) بنت شعبي من أرض بعيدة. ألعل الرب ليس في صهيون أو ملكها ليس فيها. لماذا أغاظوني بمنحوتاتهم بأباطيل غريبة[٣]». وعليه فيكون الاسم يسوع مزجاً من هذين المقطعين ليدل على معنى (الله المغيث) أو (يا الله خلص)، وقد استعمل هذا الاسم في العهدين القديم والجديد من الكتاب المقدس.

اما الاسم (عيسى) فتشير المصادر الى أنه تحريف للاسم يسوع جاء في اليونانية على صورة اللفظ (عيسوس أوعيسو Iesous) وقد انتقل هذا التحريف الى اللاتينية على صورة (جيسس Jesus)، ثم دخل الى العربية في وقت متقدم قبل نزول القرآن الكريم بها وعمم فيها لما كان من اتصال للعرب بنصارى الشام وغيرهم، مع عدم اغفال نطقهم لمطلع هذا الاسم بحرف العين والتحول بالضم في الصيغة الصورة (عيسو) الى الفتح (عيسى) فجاء الاستعمال القرآني لهذا الاسم على هذه الصورة[٤].

و يولد السيد المسيح في وقت كانت البشرية بحاجة للخلاص الالهي، لأمه مريم عليها السلام في مدينة بيت لحم، بقدرة الله

وارادته، ولا نود الخوض في نقاش هذا المولد المعجزة، بل نورد سرد الحكاية في العهد الجديد ومن ثم نوردها بنص القرآن الكريم من غير تعليق أو توجيه نتدخل فيه لدى القارىء.

«فدخل اليها الملاك وقال سلام لك ايتها المنعم عليها، الرب معك، مباركة انت في النساء. فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى ان تكون هذه التحية. فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله. وها انت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع.... فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وانا لست اعرف رجلا. فاجاب الملاك وقال لها، الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك ايضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله.... فقامت مريم في تلك الايام وذهبت بسرعة الى الجبال الى مدينة يهوذا.... فصعد يوسف ايضا من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى. و بينما هما هناك تمت ايامها لتلد. فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المذود اذ لم يكن لهما موضع في المنزل... وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين: **المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام و بالناس المسرة..** واما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة في قلبها... ولما تمت ايام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا به الى اورشليم ليقدموه للرب[٥]». هذه نصوص من انجيل لوقا اخترناها في الحدود التي تخدم الحكاية. اما النصوص القرآنية فنورد قوله تعالى: «واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا. فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سو يا. قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا. قال انما انا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا. قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا. قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا. فحملته فانتبذت

به مكانا قصيا. فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا. فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا. وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا. فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر أحداً فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا. فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريا، يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا. فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً. قال اني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا. وجعلني مباركاً اين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا. و برأ بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا. والسلام علي يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حيا. ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون. ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون».[٦]

ولما كان المسيح عليه السلام كلمة الله كما يشهد بذلك الانجيل والقرآن نذكر النصوص من هنا وهناك فنرى:

«وفي البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله.... والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا»[٧].

وقال تعالى: «اذا قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين»[٨]. وقوله تعالى: «يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثه انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السماوات وما في الارض وكفى بالله وكيلا»[٩].

اما عن صلة سيدنا عيسى عليه السلام بمدينة القدس، فتذكر المصادر انه دخل المدينة اربع مرات طيلة حياته، الاولى وهو ما زال

طفلا، والثانية والثالثة ابان دعوته، والرابعة كانت الاخيرة التي فيها القي القبض عليه وحكم بالموت. وتحدثنا نصوص العهد الجديد بان عيسى عليه السلام ادرك ان بعثته في الارض قد اقتربت فقرر ان يتوجه الى القدس حيث ينتهي من رسالته هناك: «وحين تمت الايام لارتفاعه ثبت وجهه لينطلق الى اورشليم[١٠]». «بل ينبغي ان اسير اليوم وغدا وما يليه لأن لا يمكن ان يهلك نبي خارجا عن اورشليم»[١١]. و يخاطب المسيح عليه السلام المدينة قائلا: «يا اورشليم يا اورشليم يا قاتله الانبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة اردت ان اجمع اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هوذا بيتكم يترك لكم خرابا. والحق اقول لكم انكم لا ترونني حتى يأتي وقت تقولون فيه مبارك الآتي باسم الرب[١٢]». فواضح من هذا النص انه يخاطب اليهود في قوله يا اروشليم لجواز نداء المحل مع نية الحالين فيه في اللغة، وذلك لما نراه من انذارهم بقرب خراب الهيكل ذلك الخراب الذي حدث بعد المسيح عليه السلام عام ٧٠م. كما اشرنا.

و يأتي وصف اعمال اليهود المخالفة للرب في العهد الجديد برواية عن عيسى عليه السلام حين دخل الى الهيكل ورأى بأم عينيه هذه الافعال: «ولما دخل الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون و يشترون فيه. قائلا لهم مكتوب ان بيتي بيت الصلاه وانتم جعلتموه مغارة لصوص»[١٣]. لعل هذا النص على ايجازه يصلح لابراز الحال التي كانت عليها عبادة الله في هذه المدينة المقدسة، و يطول بنا الحديث ولو تتبعنا هذا.

وتذكر المصادر ان السيد المسيح عليه السلام حين جاء الى القدس في المرة الاخيرة هذه، اشرف عليها من جبل الزيتون[١٤] واجهش يبكيها لما يعلمه من خرابها الآتي وفراقه لها الذي اقترب، وهذا ما اشار اليه العهد الجديد: «وفيما هو يقترب نظر الى المدينة و بكى عليها. قائلا انك لو علمت أنت أيضا حتى في يومك هذا ما هو

لسلامك، ولكن الآن قد أخفى عن عينيك. فانه ستأتي ايام و يحيط بك أعداؤك بمترسة و يحدقون بك و يحاصرونك من كل جهة. و يهدمونك و بنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر لأنك لن تعرفي في زمن افتقادك[١٥]».

و ينتهي السيد المسيح من بعثته، وقصة النهاية مدار خلاف بين الاسلام والمسيحية، فالمسيحية تقر بالصلب في حين أن الاسلام لا يقر به، ولنستمع للنصوص تقول كلمتها. فقد جاء في العهد الجديد: « فأخذوا يسوع ومضوا به. فخرج وهو حامل صليبه الى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة و يقال له بالعبرانية جلجثة. حيث صلبوه وصلبوا اثنين آخرين معه من هنا ومن هنا و يسوع في الوسط»[١٦] اما النص القرآني فينفي ذلك كما في قوله تعالى: «وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا[١٧]».

وهكذا يسدل الستار على قصة واحد من الانبياء الكرام عليه أفضل السلام بأكثر ما تكون مأساوية القصة وتأثيرها، تلك التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمدينة القدس مدينة السلام بل نور السلام.

وغادر عيسى عليه السلام، وترك دعوته بين تلاميذه فملأوا بها اسماع الدنيا وابصارها، وكأنها بدأت من جديد حيث انتهى في هذه المدينة التي صارت محجا لأهل الديانة المسيحية ابد الدهر.

و يتقدم الزمن بالمدينة في هذا العصر، وتعمها ديانة المسيح في ظل الحكم الروماني أمداً من الدهر بين الاضطهاد والهدوء، الى أن قدر الله اعتناق الامبراطور البيزنطي الروماني قسطنطين الذي تولى الحكم بين عامي ٣٠٦ و٣٣٧ للميلاد عام وفاته، و باعتناق قسطنطين المسيحية حل عصر جديد على مدينة القدس واهلها المسحيين، وذلك من خلال الاهتمام الخاص الذي وجهته امه هيلانه لهذه المدينة حين زارتها وكان قد اقيم فوق المكان الذي دفن

فيه المسيح معبد وثني، فأمرت بهدمه والحفر في المكان الى أن تم الوصول الى مغارة المدفن، فأنشأت بناء كنيسة القيامة[١٨]، وكان ذلك في حوالي عام ٣٣٥ للميلاد في المكان المعروف باسم الجلجثة او الجلجلة، وهو المكان الذي دفن فيه المسيح، وقد بنيت كنائس اخرى في هذا المكان، وجدير بالاشارة ان هذا الاسم (جلجثة) مدار خلاف بين الباحثين في اصله ومعناه وسبب اطلاقه على هذا المكان في مدينة القدس، فالاسم مشتق من المادة الثنائية (جلجل) والواردة في اللغات السامية وتدل اصلا على الصوت الناتج عن حركة، ثم تطورت في الدلالة على الشيء المستدير والكروي القابل للحركة والاضطراب في الارض، ومن هنا دلت على الجمجمة في الكنعانية والعبرية (גלגלת جلجلث) اليس من الواضح أن كلمة (الجمجمة) العربية هي نفس الكلمة العبرية ابدلت اللام بالميم و بقيت الحركات كما هي؟ وهذا جائز في اللغة فالحرفان واحد في المخرج[١٩].

لقد ازدهرت مدينة القدس في هذه الفترة من حكم الرومان المسيحيين فقد شيدت فيها الى جانب الكنائس المستشفيات والمدارس ووسعت رقعتها بتوسيع اسوارها وخاصة في الناحية الغربية والناحية الشمالية، وتمتعت عهداً من الزمن بالاستقرار، الى ان حل عام ٦١٤ للميلاد، حين هاجمها الفرس الساسانيون واحتلوها وأشاعوا فيها القتل والدمار، واستمر الاحتلال الفارسي للمدينة حتى عام ٦٢٨ للميلاد، حين تمكن هرقل امبراطور الروم البيزنطيين من طرد الفرس نهائيا عن القدس بل عن سوريا كلها.

وجدير بالاشارة في هذا المقام ان الدعوة الاسلامية كانت قد بدأت في تلك الفترة، وكما هو معروف من العلاقات الطيبة بين العرب في الجزيرة والعرب في بلاد الشام وخاصة فلسطين، فقد تأثر العرب للهجمة الفارسية على هذه البلاد وكانت ميولهم مع الروم في حربهم، التي استطاعوا فيها طرد الفرس نهائيا بعد نصر حاسم عام ٦٢٥ للميلاد كما ذكرنا وهو عام ٤ للهجرة.

وان هذا النصر المسيحي اعتبر نصراً الهياً بل نصرا للمؤمنين بالله عند المسلمين في بداية دعوتهم على الفرس الوثنيين لما يدينون به من المجوسية، ولهذا فقد نزلت الآيات القرآنية تبشر بهذا النصر قبل حدوثه في قوله تعالى: «غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد و يومئذ يفرح المؤمنون. بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم». هذه الآيات (٢ ـ ٦) من سورة الروم التي هي من السور المكية في القرآن الكريم اي التي نزلت قبل الهجرة الى المدينة، والنصر المؤزر الذي حققه الروم المسيحيون على الفرس الوثنيين كان عام ثمانية للهجرة، مما يؤكد بشارة القرآن هذه، وهذا ربما كان من بين ما شجع النبي محمداً صلى الله عليه وسلم لان يدعو هرقل الى الدخول في دين الاسلام، فرفض الدعوة برد جميل على غير علم منه ان هذا الدين الجديد سيحل قريبا في تلك الديار ومنها القدس، بل انه كان قد حل بالفعل حين اسري بالنبي صلى الله على وسلم وعرج الى السماء من بيت المقدس، هذا الاسراء الذي حدث عام (١١) لبعثه النبى صلى الله عليه وسلم عام (٦٢١) للميلاد، اي في فترة حكم الامبراطور هرقل، هذا وتشير المصادر الى انه مال قلبه الى الاسلام حين قرأ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان في حمص حين جمع عظماء الروم وأمر ان تغلق ابواب المكان، فطلع عليهم وقال لهم من الحديث ما ينبىء عن رغبته في الاسلام، فنفروا من ذلك، فعاود قوله لهم ان مقولته هذه فقط ليرى شدتهم على دينهم[٢٠].

الاسراء والمعراج:

اما حادثة الاسراء والمعراج، والتي حدثت في فترة حكم هرقل كما أشرنا، تعرض اليها القرآن الكريم في قوله تعالى: «سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير»[٢١]. هذا عن الاسراء من

مكة (المسجد الحرام) الى القدس (المسجد الأقصى)، اما المعراج فقد تعرض اليه القرآن الكريم هو الآخر في قوله تعالى: «والنجم اذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو الا وحي يوحى، علمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى، وهو بالافق الاعلى، ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين او ادنى، فأوحى الى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، أفتمارونه على ما يرى، ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، اذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى»[٢٢].

إن منعم النظر في هذين النصين القرآنيين، يلاحظ ان النص الاول والمتحدث حول الاسراء قد لمس الموضوع بكل صراحة ووضوح، وذلك لأنه يتعلق بأمر مادي محسوس والدليل قام عليه من مشاهدات الرسول صلى الله عليه وسلم. ولكن النص القرآني الثاني المتحدث حول المعراج نلاحظ انه يمس موضوعه باسلوب من التعبير الرمزي المحتاج الى التفكر والتعقل لما وراء المعاني المباشرة للالفاظ والعبارات من الصور التي لا يطالها ادراك الانسان بابعاده المادية كعبارة (الافق الاعلى) و(دنا فتدلى) و (وقاب قوسين او ادنى) وهكذا. ولهذا فقد ذهب علماء الاسلام الى التفريق بين حكم من ينكر الاسراء وحكم من ينكر المعراج بالقول: ان منكر الاسراء كافر لانه يصادم النص القرآني، أما منكر المعراج فهو فاسق لعجز في ايمانه عن التسليم والالتزام بالنص القرآني[٢٣].

ان حادثة الاسراء والمعراج تحمل في فحواها تحولا جديداً في مكانه مدينة القدس الدينية، فهي بداية عهد هذه المدينة بدين الاسلام من اوله، بل انها رسخت قدسيتها الالهية ووصلتها بقدسيتها في سائر الاديان ولدى جميع الرسل والانبياء، ثم كانت تعنى اقتران هذه المدينة البعيدة عن مركز دعوة محمد صلى الله عليه وسلم في مكة من ارض الجزيرة بربط قدسية البيت العتيق الذي بناه ابراهيم وابنه في مكة، بقدسية المسجد الاقصى في القدس

أولى القبلتين وثالث الحرمين، بعد ان تطرق اليه الفساد بالخروج على شريعة موسى، ثم الدمار والخراب. ذلك المسجد الذي كان موضعه خرباً خالياً مهجورا في وقت الدعوة الاسلامية. هذا خلافاً لما قيل من ان المسيحيين قد بنوا كنيسة في موضعه، ذلك القول الذي عارضه كثير من مؤرخي المسيحية[٢٤]، اعتماداً على نبؤة السيد المسيح عليه السلام في قوله: «هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً»[٢٥]. ونحن نميل الى هذا لما نعرفه من أن جبل الاقصى كان خالياً من البناء تتجمع فيه القمامة حين كان الفتح الاسلامي وسنتحدث عليه باذن الله فيما بعد. ونلتفت في الآتي بكلمة موجزة حول مكانة مدينة القدس في العقيدة المسيحية.

القدس في العقيدة المسيحية:

تعلقت قلوب المسيحيين من جميع الطوائف في اقطار الارض كافة بمدينة القدس تعلقا تفردت به دون سائر مدن الارض، كمدينة قدسية احتوت في اكنافها ذكرى المسيح علي السلام حين حمل لواء الدعوة المسيحية يدعو الناس الى الايمان على مختلف مواردهم ومشاربهم، بل ان المسيح عليه السلام حين حمل لواء دعوته بادىء ذي بدء ثائراً على ممارسات اليهود التي كانوا يقومون بها في الهيكل، تلك الممارسات التي دفعت بالسيد المسيح الى الدعاء على المدينة بالخراب، بل انه ثار على موقفهم لاعتبارهم العقيدة الموسوية عقيدة خاصة، بل لاعتبارهم بيت المقدس بما فيه الهيكل وقفاً عليهم وان الله لهم وليس لغيرهم من بني البشر، وحين استعرت نيران ثورته عليه السلام ضدهم هبوا فيها يهاجمونه و يدسون ضده الدسائس حتى القي القبض عليه وحاكمه الرومان وصلبوه - حسب اعتقاد المسيحيين - و بانتهاء حياته على الارض، تحولت مدينة القدس في العقيدة المسيحية تحولا آخر قدسياً، وذلك

لانها تضم في احدى جنباتها الذكرى الحسية الخالدة على مر الدهر، الا وهو القبر المقدس القبر الخالي قبر عيسى بن مريم عليه السلام بعد أن غادره صاعداً الى السماء هذا القبر الذي يعتبر رمزاً قائماً يوحي بعودة صاحبه الى الارض مرة اخرى ليملأ الدنيا عدلا وهدى. ذلك القبر الذي تحدثت عنه الاناجيل باختلاف في التعابير المتفقة في معانيها بل التي اتحدت في الدخول الى قلوب المؤمنين من اهل المسيحية تلك التعابير التي تقول كلها عن المسيح مشيرة الى القبر الخالي: ليس هو ههنا! انه قد قام.

ولأجل هذا، فان المدينة تبقى ابد الدهر محج المسيحيين من مشارق الارض ومغاربها، بل مورد الايمان الصافي الذي يجلو ما علا القلوب من الصدأ بعيداً عن هذه المدينة، فيحج المسيحي اليها ليخلص قلبه من هذا الصدأوليلقىما على كاهليه من المتاعب، متضرعاً الى الله ان يأذن بخلاص قريب وان يعيد المسيح الى هذه الارض ليخلص الناس من ادران الشر والشرك.

هذه مكانة مدينة القدس في العقيدة المسيحية باختصار، يشاركون في قدسيتها اخوانهم المسلمين الذين يعتبرون المدينة من المدن الاسلامية الثلاث التي تشد اليها الرحال بعد مكة والمدينة ولا تشد رحال مسلم الى مدن سواها فهي محج لهم كما هي محج للمسيحيين.

ـ شروحات ومراجع

١) قيسارية، واسمها قيصرية نسبة لاسم القيصر الروماني ولقد بناها هيرودس على شاطىء البحر المتوسط لتكون ثغرا بحريا يسهل الاتصال مع روما.

*) قلعة انطونيا، حصن رممه وحسنه هيرودس وسماه بهذا الاسم حفظا لذكرى انطونيوس حاكم سوريا الروماني الذي كان حاميا ومؤازرا لهيرودس، و يجدر بالذكر ان انطونيوس هذا هو صاحب لكيلو بترا.

*) بركوخبا: احد زعماء اليهود فقدادعى انه المسيح المنتظر فتبعه يهود كثيرون، واسمه مركب من مقطعين المقطع الاول (بر) وهو كلمة آرامية بمعنى (ابن) والمقطع الثاني (كوخب) وهو كلمة كنعانية عبرية معناها نجم او كوكب، فيكون اسمة بمعنى (ابن الكوكب)، ولما فشلت ثورته وقتل ايقن اليهود انه مسيح كاذب فسموه (بركذيبا) اي ابن الكذاب (هذا حسب ما ورد في كتاب الفكر الديني الاسرائيلي للدكتور حسن ظاظا، ص ١٣٣، ١٣٤)

٢) ـ عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ٤٦ ـ ٧٠، (ينكر روايات مختلطة كثيرة).

The Interpreters Dictionary of the Bible, Item (Jerusalem)
(اكثر من موضع).

ـ H. Smith, Man and his Gods.P-.121

٣) سفر ارميا، ١٩:٨.

٤) انظر حول ما اوردنا: الاب لويس كوستاز: القاموس السرياني (طعنب)
W. Gesenuis, A Hebrew and English Lexicon of the O.T.(יהושע)
The Encyclopedia of the Bible, Item (Jesus)
H. Smith, Man and his Gods, P.178

٥) انجيل لوقا، ١ : ٢٨ ـ ٣١، ٣٤، ٣٥، ٣٩، و٢ : ٤ ـ ٧، ١٣، ١٩، ٢٢.

٦) الايات ١٦ ـ ٣٥ من سورة مريم.

٧) انجيل يوحنا، ١ : ١، ١٤

٨) آية ٤٥ من سورة آل عمران.

٩) آية ١٧١ من سورة النساء

١٠) انجيل لوقا، ٩ : ٥١

١١) انجيل لوقا، ١٣ : ٣٣

١٢) انجيل لوقا، ١٣ : ٣٤، ٣٥

١٣) انجيل لوقا: ١٩ : ٤٥، ٤٦

١٤) The Interpreters Dictionary of the Bible, Item, Jerusalem

١٥) انجيل لوقا، ١٩ : ٤١ ـ ٤٤

١٦) انجيل يوحنا، ١٩ : ١٧، ١٨

١٧) آية ١٥٧ من سورة النساء.

١٨) هذا حسب عقيدة المسيحية خلافا لما يعتقده المسلمون من ان المسيح لم يقتل ولم يدفن، اما كنيسة القيامة، فقد سميت بهذا الاسم تخليدا لقيام المسيح عليه السلام من القبر وهذا حسب ما جاء في العهد الجديد، وجدير بالذكر ان التحريف نال من هذا الاسم بتحول الياء الى الميم فصار (القمامة) وذلك في فترة تقدمت الفتح الاسلامي مما يفسر وروده في العهدة العمرية.

١٩) גלגל W. Gesenius, A Hebrew and English Lexicon of the O.T.,Item

ـ الفيروز ابادي، القاموس المحيط

٢٠) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ٧٥ وما بعدها.
د. خلقي خنفر، تاريخ الدعوة في حياة الرسول، ص ٢٩٤، ٢٩٥.

٢١) آية ١ من سورة الاسراء.

٢٢) الايات ١ ـ ١٨ من سورة النجم.

٢٣) د. خلقي خنفر، تاريخ الدعوة في حياة الرسول، ص ١٤٥.

٢٤) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ٧٦

٢٥) انجيل لوقا، ١٣ : ٣٥

الفصل الخامس

القدس في العصور الاسلامية

بين يدي الفتح الاسلامي:

سبق قولنا أن اول عهد للمدينة بالاسلام كان باسراء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اليها ومعراجه منها الى السماء، وكان الى جانب ذلك قد بشر المسلمين بفتحها غير مرة في احاديثه، كما انها كانت هدفاً لثلاثة جيوش من جيوشه، الاول قد خاض معركة مؤتة وعاد، والثاني وصل الى تبوك والثالث كان جيش اسامة الذي جهزه وفارق الى ربه، فأكمل المهمة خليفته ابو بكر الذي وجه اسامة بأمر عسكري يعتبر من اسمى مراتب الاوامر العسكرية التي تتمشى مع روح الاسلام مما لا ترقى اليه انظمة حقوق الانسان في ايامنا بل انها تنتهك في الغالب الكثير ولا يلتفت اليها، و يقول ابو بكر رضي الله عنه لاسامة وجيشه وهم على نية المسير: «لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاه ولا بقرة ولا بعيرا إلا لله. وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا انفسهم له».[1] الست معي انه جعل حرمة لكل خلق من خلق الله بشراً أم شجراً، حتى القساوسة والرهبان والخورة في كنائسهم واديرتهم جعل لهم حرمة يحظر تخطيها.

و يعقد العرب المسلمون العزم على فتح القدس مع بلاد الشام كلها، فجهزت اربعة جيوش لهذه الغاية، أمر ابو بكر رضي الله عنه عليها اربعة من خيرة القواد المسلمين وهم: ابو عبيدة عامر بن الجراح، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، و يزيد بن ابي سفيان. وكان عمرو ابن العاص مكلفاً بالتوجه الى فلسطين بدءاً بالقدس، وقبل المسير وجه ابو بكر اليه وصية تعتبر بمثابة الامر العسكري للجيش، ونورد هذه الوصية: «قد وليتك هذا الجيش، فانصرف الى أهل فلسطين، وكاتب ابا عبيدة، وانجده اذا ارادك. ولا تقطع أمراً الا بمشورته. اتق الله في سرك وعلانيتك، واستحيه في خلواتك. فانه يراك في عملك. وقد رأيت تقدمتي لك على من هم أقدم منك سابقة، وأقدم حرمة، فكن من عمال الآخرة. وارد لعملك وجه الله. واسلك طريق ايلياء[2] حتى تنتهي الى أرض فلسطين. واياك ان تكون وانياً عما ندبتك اليه. واياك والوهن، واياك ان تقول جعلني ابن ابي قحافة[3] في نحر العدو ولا قوة لي به. واعلم يا عمرو ان معك من المهاجرين والانصار من أهل بدر[4]. فأكرمهم واعرف حقهم، ولا تتطاول عليهم بسلطانك. ولا تداخلك نخوة الشيطان فتقول: انما ولاني ابو بكر لأني خيرهم. واياك وخدائع النفس. وكن كأحدهم. وشاورهم فيما تريد من أمرك. والصلاة ثم الصلاة. أذن لها اذا دخل وقتها. واحذر من عدوك. وأمر اصحابك بالحرس. ولتكن انت بعد ذلك مطلعاً عليهم. وأطل الجلوس بالليل مع اصحابك، وأقم بينهم واجلس معهم. اتق الله اذا لاقيت العدو، وقدم قبلك طلائعك فيكونوا أمامك. واذا وعظت فأوجز. واصلح نفسك، تصلح بك رعيتك. واذا رأيت عدوك فاصبر ولا تتأخر. فيكون ذلك فخراً منك. وألزم اصحابك قراءة القرآن. وانههم عن ذكر الجاهلية وما كان فيها، فان ذلك يورث العداوة بينهم. واعرض عن زهوة الدنيا حتى تلقى من مضى من سلفك. وكن من الأئمة الممدوحين في القرآن، إذ قال تعالى: «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين».[5] لا يتسع المجال لتحليل هذه الوصية والتعليق عليها، ولكن يمكن القول بأنها كانت دستوراً

عاماً للجيوش الاسلامية ابان الفتوح الاسلامية عامة، و يجوز لهذه الوصية أن تكون روحاً لكل جيش من الجيوش في كل زمان ومكان، لما تضمنت من الابعاد الانسانية اولا والعسكرية ثانياً معتمدة كلها على روح عقيدة الاسلام التي تعول جداً على القدوة الحسنة في كل عمل خير.

فتح المدينة:

لقد حق النصر لجيوش الاسلام في الشام، بعد معركتي اليرموك وفحل، فاتجه قادة المسلمين الى المدن يحاصرونها من أجل اتمام الفتح، و يبدو أن من اول المدن التي توجهوا اليها كانت مدينة القدس، فحاصرتها سبع فرق وصلتها تباعاً، وقد كلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابا عبيدة عامر بن الجراح بقيادة جيش المسلمين وفتح المدينة[٦]، وكان ذلك عام ١٤ للهجرة، عام ٦٣٥ للميلاد. ونشب القتال بين جيش المسلمين وحامية المدينة بقيادة ابي عبيدة الى أن خرج صفرونيوس بطريرك المدينة وحوله القساوسة والرهبان وقواد الجند، وطلبوا الصلح مشترطين تسليم المدينة للخليفة عمر بن الخطاب نفسه، فوافق ابو عبيدة، وارسل الى المدينة المنورة يدعو عمر الى الحضور ففعل، وحين وصل الى المدينة ابلغ صفرونيوس بمقدم الخليفة، فخرج وصحبه للقاء عمر، وكان الصلح والتسليم عام ١٥ للهجرة، عام ٦٣٦ للميلاد، بع أن كتب عمر رضي الله عنه الى اهل القدس كتاب عهد للامان، عرف في التاريخ (بالعهدة العمرية)، ونود قبل ذكر هذه العهدة بالنص أن نشير الى أن خلافاً في النصوص قد ورد حول هذه العهدة، تحدث في هذا الخلاف الاستاذ عارف العارف في كتابه المفصل في تاريخ القدس، ولا نرى هنا ما يعول على هذه العهدة سوى ابراز الروح الاسلامية السمحة في أحوال الحرب والسلام، اذا قارنا أوامر الحرب في خطب ووصايا الخلفاء والقواد المسلمين - وقد ذكرنا من هذا للخليفة ابي بكر - وصكوك الصلح والسلام التي اعطوها في السلم. ونذكر هنا نص

هذه العهدة نقلا عن مجير الدين الحنبلي في كتابه (الانس الجليل بتارخ القدس والخليل)[٧]: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبدالله امير المؤمنين عمر أهل ايليا من الأمان، أعطاهم أماناً لانفسهم وأموالهم ولكنائسهم ولصلبانهم سقيمها (*) و بريها (*) وسائر ملتها انها لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حدها ولا من صلبهم (*) ولاشيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بايليا معهم احد من اليهود وعلى أهل ايليا أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وعلى أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايليا من الجزية، ومن أحب من أهل ايليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم و يخلي بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان فيها من أهل الارض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل ايليا من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى أرضه فانه لا يؤخذ منه شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاو ية بن ابي سفيان.»

إن هذه العهدة و بغض النظر عن الخلافات حولها، تعتبر من النصوص الشاهدة على الروح الحضارية الانسانية للاسلام، هذه الروح التي تحترم ما يخالف العقيدة الاسلامية، و بخاصة اذا التفتنا الى النص على عدم التعرض للصليب او الصلبان التي تعتبر من المسائل الجوهرية المادية التي يختلف فيها المسلمون مع المسيحيين، وذلك لما نعلمه من نفي حادث الصلب قطعاً في العقيدة الاسلامية، فضلا عن النظرة الاسلامية للصليب على انه ينحاز الى مرتبة الاوثان التي جاء الاسلام حرباً عليها، ذلك الصليب عينه الذي حدثنا التاريخ كثيراً عن أحداث النهب والخراب الذي تعرض له خلال

هجمات غير المسيحيين على القدس. ومما هو جدير بالملاحظة في هذه العهدة، موافقة عمر على طلب المسيحيين بأن لا يسكن المدينة يهود، وهذا خلافاً لما ذهب اليه استاذنا الدكتور حسن ظاظا من ان عمر رضي الله عنه قد رفض هذا الشرط[٨]، مما لا يستند الى هذه العهدة، ولا أعرف على ماذا استند استاذنا في مذهبه هذا. اما ما تطرق اليه الاستاذ عارف العارف في معرض رفضه للنص الذي اعلنته البطريركية الاثوذكسية في القدس عام ١٩٥٣م، من أن الطوائف النصرانية لم تكن موجودة في القدس كما هي معروفة اليوم[٩]، فان هذا فيه شيء من الحق، غير أننا نخالفه في أن نوعاً من هذه الطوائف كان موجوداً والمتتبع لتاريخ النصرانية في بلادنا قبل الاسلام يمكنه أن يقف على ذلك، ولقد تضمنت العهدة اشارة الى هذا الامر في صيغتها التي اوردناها: «وسائر ملتها» فهذه العبارة تشير الى ان هناك تنوعاً في الملة المسيحية في القدس بصورة ربما ليست على الصورة التي نعرفها اليوم، بل ربما كانت ارهاصات اولى لهذه الطوائف، على ان هذا الامر لا يعنينا كثيراً، فالمدينة مدينة الهية حق لكل من هو مؤمن بالله جل شأنه أن يحظى بالعبادة في ارجائها وان يلقى الحماية والرعاية والامان كما يقضي بذلك شرع الاسلام، بل كما نصت العهدة ذاتها، كما نفهم من العهدة ان سكان مدينة القدس وقت الفتح الاسلامي كانوا من العرب الذين يرتدون في اصولهم الى السكان الاصليين لبلادنا فلسطين، وكان يسكن معهم البعض من الاجناس الاخرى كالروم وغيرهم، وذلك لما تنص عليه العهدة من أن من أحب من أهلها الاصليين من العرب ان يمضي خارجها مع الروم فله ذلك آمناً، ومن احب البقاء فله ذلك، حتى تشير العهدة صراحة الى غير أهلها العرب من سكان الارض من مختلف الاجناس» ومن كان فيها من أهل الارض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل ايليا من الجزية ومن شاء سار مع الروم»، فواضح التخيير لهؤلاء بين البقاء والمغادرة مع الروم. وهذا ان دل على شيء فانما يدل على أن المدينة في تاريخها الطو يل ورغم ما تقلب عليها من أحداث الزمن، لم يفارقها سكانها الاصليون من

العرب الكنعانيين وقت بناها اليبوسيون والى ايام الفتح العربي الاسلامي، بل الى يومنا هذا وحتى يرث الله الارض ومن عليها.

لقد دخل عمر بن الخطاب مدينة القدس على خلاف بين المؤرخين في اي يوم او اي شهر كان دخوله، وما يعنينا في هذا المقام ذكره، ما فعل عمر وجنده واصحابه حين دخلوا، هناك اجماع يكاد يكون تاماً لدى المؤرخين، على أن صفرونيوس بطريرك المدينة استقبل عمر وصحبه لدى دخوله، واصطحبه للاحتفاء به في كنيسة القيامة، و بينما هم في الكنيسة حل وقت الصلاة، فخرج عمر واقامها خارج الكنيسة في مكان قريب لئلا تكون ذريعة للمسلمين يستولون بها على الكنيسة من بعد، ولقد بني مسجد مكان صلاة عمر فعلا، وما زال قائماً الى يومنا هذا، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على عظمة الاسلام وعظمة عمر كقائد بعيد النظر تجاوز بنظرته خلال العصور الى الابد.

وانتهى عمر من مراسيم الاحتفال، ليغادر كنيسة القيامة متجهاً الى جبل الاقصى، وعلى خلاف بين الباحثين حول انه طلب من صفرونيوس أن يدله على الموقع، أو انه طلب من صفرونيوس أن يدله على مكان يصلح لبناء مسجد للمسلمين في المدينة، فدله على هذا الموقع، وهذا الرأي الثاني ايده الاستاذ عارف العارف[١٠]، أقول: إن الرأي الاول هو أقرب الى الصواب، وذلك لما نعرفه من مكانة هذا الموقع في نفوس المسلمين، فهو القبلة الاولى للمسلمين، وهو المكان المنصوص عليه موضعاً لمعراج النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف، فهذا الموضع كان من الاسباب الرئيسة لفتح القدس، بل الداعي لعمر الخليفة بنفسه ان يحضر اليها وقت طلب منه ذلك دون سائر المدن التي تم فتحها ومن بينها ما هو أعظم من مدينة القدس في الشام ومصر، بل ربما كان من بين المسلمين ممن دخلوا بصحبة عمر الى المدينة من يعلم المكان و يعرفه حق المعرفة، لما نعرفه من ترددهم على الشام بعامة والقدس خاصة من أجل التجارة، وهل كان المسلمون الذين اداروا معارك الفتح في مختلف

البقاع والامصار، لا يعرفون موضعاً بهذه القدسية كان هدفاً لفتوحهم دينياً قبل أن يكون عسكرياً أو سياسياً؟؟؟، بل لماذا أقبل عمر رضي الله عنه، يرفع القمامة عن الصخرة بيديه وثوبه وتبعه المسلمون في هذا العمل، لولا أن المكان له موقع في نفس عمر وصحبه؟؟.

لقد كان موقع المسجد الاقصى حين وصل عمر رضي الله عنه خرباً تقوم فيه أطلال معبد جوبيتر الروماني الذي ذكرناه سابقاً، وقد أحاطت به القمامات وحل به القذر والزبل، فقد اتخذه السكان موضعا لالقاء القمامة، فأقبل عمر رضي الله عنه وصحبه والجند ينفضون عنه ما حل به حتى ظهرت الصخرة، فأمر عمر ببناء مسجد للمسلمين في المكان على خلاف في موضع وصفه ذلك المسجد مما لا يعنينا الخوض فيه، اذ أن المسجد قد بنى وكفى.

وبعد أن استتب أمر المسلمين في المدينة غادرها عمر وقد استخلف عليها رجلا من أصحابه يصلي بالناس يدعى سلامة بن قيصر.

وتتوالى العصور الاسلامية على المدينة، و يحل عهد بني أمية بعد انقضاء عهد الراشدين. وقد كان سلامة بن قيصر مستمراً في ادارة شؤون المدينة وقد ابقاه معاوية حين تولى الخلافة[11].

وأما عن حال مدينة القدس في ايام خلافة معاوية، فقد وصفها (اسقف فرنسي يدعى اركولفوس وصل اليها عام ٥٠ للهجرة، ٦٧٠ للميلاد، فذكر انه كان على سورها ٨٤ برجاً، وللسور ستة ابواب، ثلاثة فقط تفتح الاول غرب المدينة والثاني شماليها والثالث شرقيها (*)، و يشير هذا الرحالة الى كنائس القدس المختلفة خاصاً كنيسة القيامة، ثم يتطرق الى أن المسلمين قد قاموا ببناء مسجد مربع على هضبة الحرم، استعملوا فيه حجارة واعمدة ضخمة وانه يتسع لثلاثة آلاف من المصلين[12]. ولقد اختلف المؤرخون حول هذا المسجد واين كان موضعه، هل هو في الناحية الجنوبية من ساحة

الحرم اي نفس موضع المسجد الاقصى اليوم، أم هل هو قرب الصخرة الى الناحية الشرقية؟؟، و بالطبع فان هذا المسجد الذي ذكره هذا الرحالة لابد وأن يكون المسجد الذي اختطه وشرع ببنائه عمر بن الخطاب لما نعرفه من أن زيارة هذا الرحالة كانت على ايام معاوية، أي قبل عهد عبد الملك وابنه الوليد الذين بنيا المسجد الاقصى الحالي، وعليه فان هذا المسجد قد يكون اقيم في موضعه الحالي على عهد عمر، وكان على صورة ما من حيث الحجم والاتساع، وقد تمت اضافات جوهرية عليه في عهد هذين الخليفتين، وفضلا على ذلك فقد دارت خلافات حول أن المسجد الاقصى بني مكان كنيسة مسيحية، وهذا الرأي مخالف للحق من وجهتين: الاولى دينية، وذلك لأن السيد المسيح دعا على هذاالموضع بالخراب وقد سبقت اشارتنا اليه[13]، فلا يعقل ان يبني المسيحيون كنيسة في مثل هذا الموضع الذي كرهه نبيهم عليه السلام، والوجهة الثانية سياسية لا تخرج عن نطاق الدين ايضاً، وذلك من خلال العهدة العمرية التي نصت على عدم التعرض للمسيحيين بشيء قل او كثر، فما بالك بالكنائس، واذا كان عمر رضي الله عنه، قد رفض الصلاة في كنيسة القيامة لئلا يستولي عليها المسلمون من بعده، فكيف به هو يستولي على كنيسة قائمة يحولها الى مسجد، زد على ذلك ما علمناه عبر تاريخ الاسلام، أن المسلمين لم يتطرقوا ابداً الى الاستيلاء على ما للمسيحيين من ارض او عقار او كنائس عنوة في مدينة القدس، لأن ذلك محرم شرعاً ما داموا يحفظون الذمة، هذا الى جانب كونهم من أهل الكتاب الذين نص القرآن الكريم على أن العلاقة بينهم و بين المسلمين تكون بالحوار الهادىء البعيد عن كل اكراه أو ضغط فقد قال تعالى: «قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»[14]. فان كان هذا شأن العلاقة بين الطرفين في أمر من جوهر العقيدة كهذا، فماذا سيكون في امر متاع دنيوي او مكان للعبادة؟!.

اما مسجد قبة الصخرة، فنعلم أنه مسجد بني بهدف ديني محض وان كان عبد الملك بن مروان حين بنى هذا المسجد لم يغفل الابعاد السياسية التي ارى أنها سلكت محورين، محور عربي اسلامي ترتب على تحول بني امية بعاصمة الخلافة من المدينة المنورة عاصمة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده، ومحور اسلامي محض، حرص فيه عبد الملك على ابراز عظمة الاسلام في مظهر تكون له عظمة وتبجيل في نفوس الناظرين ليس من المسلمين فحسب، بل في نفوس غير المسلمين، ولا ريب في ان هذا المحور فيه الكثير الكثير من الحق، لما نعرفه من مكانة القداسة العالمية لمدينة القدس كحج لأهل الاديان يتوافدون عليها من كل ارجاء الارض. أما الهدف الديني، فقد ارتكز على اخص خصائص العقيدة الاسلامية فيما يتعلق بمدينة القدس كمدينة الاديان تلاحقت عليها قوافل المؤمنين من عهد نوح الى عهد محمد صلى الله عليه وسلم، بل انها اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى محمد صلى الله عليه وسلم وموضع معراجه الى السماء، فمكان بهذه القدسية جدير بأن يبرز عليه شاهد يليق بقداسته، و بغض النظر عن الخلافات بين المؤرخين حول أهداف عبد الملك مما لا طائل يرجى من ترداده، فقد كانت مشيئة الله أن يبنى هذا المسجد باجماع الامة الاسلامية، لما نعرفه من الكتب التي ارسلها عبد الملك بن مروان الى الاقاليم يطلب فيها الرأي حول همة البناء[١٥]، هذا الخبر الذي يؤكد عدم تفرد عبد الملك في عزمه وما رأى.

لقد كلف عبد الملك بن مروان اثنين من رجالاته بالقيام على شؤون البناء هما رجاء بن حياة بن جود الكندي و يزيد بن سلام من أهل بيت المقدس، وذلك ان عبد الملك حضر بنفسه الى القدس وقد اعدت العدة والرجال من المهندسين والبنائين والعمال، فوصف لهم البناء الذي يريد، فشرعوا ببناء نموذج مصغر على هذا الوصف وهو القبة المعروفة بقبة السلسلة اليوم والتي تحاذي قبة الصخرة من الناحية الشرقية، وعندما رآها أقر الطراز و بدأ البناء على الهيكل

الذي مازال قائماً وسيبقى الى أن يرث الله الارض ومن عليها باذنه. وتشير المصادر الى أن بناء مسجد الصخرة قد استغرق حوالي ست سنوات من ٦٦ - ٧٣ للهجرة وفق ٦٨٥-٦٩٢ للميلاد، وقيل أن خراج مصر لسبع سنوات قد خصص لهذا البناء، كما قيل أن اموالا قد زادت بعد انتهاء البناء، فأمر عبد الملك أن يسبك بها الذهب فوق القبة، ثم صنع لها غطاء من الجلد كان يلقى عليها في الشتاء حفظاً لها[١٦].

وجدير بالاشارة الى أن الوضع السكاني في مدينة القدس ابان عصر الراشدين والدولة الاموية، كان في مرحلة من التكون، فالمسيحيون الذي حرصوا على الاقامة في المدينة لما وجدوه من الامان، لاقوا كل رعاية واهتمام، حتى أن عبد الملك بن مروان قد استأمنهم على الخدمة في الحرم القدسي، و يبدو أن اليهود قد عادوا الى القدس، في ظل التسامح الديني للدولة الاسلامية، وقد نظر اليهم خلفاؤها على أنهم من أهل الكتاب، يحق لهم أن يتنقلوا و يقيموا حيث شاءوا في ارض الاسلام، بل ان نفراً منهم قاموا على الخدمة في الحرم منذ ايام عبد الملك بن مروان نفسه[١٧].

و ينتهي العهد الاموي و يبدأ عهد العباسيين، ولم يحدث تغيير جوهري في مدينة القدس الا ما حدث من الزلازل التي هدمت مبان كثيرة، منها المسجد الاقصى وقبة الصخرة و بعض الكنائس، ولقد ذكرت ذلك مصادر مختلفة وعلى فترات مختلفة، تم ترميم هذه المباني على عهد الخلفاء العباسيين كل في زمانه الى أن بدأ الضعف يدب في أوصال الخلافة العباسية، فقسمت الاقاليم التابعة لها في دول مختلفة، بعضها كان يتبع الخلافة تبعية اسمية و بعضها كان منفصلا انفضالا تاماً، الى أن قضى الاتراك العثمانيون على الخلافة الاسمية للعباسيين، واخذوها منهم عام ٩٢٣ للهجرة وفق ١٥١٧ للميلاد. وخلال اواخر الخلافة العباسية الاسمية، تعرضت فلسطين بما فيها مدينة القدس لاحداث مختلفة، سنذكرها بايجاز يخدم التسلسل التاريخي لهذه المدينة المقدسة.

لقد حظيت مدينة القدس ابان القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي بزيارة كثير من الرحالين المسلمين والمسيحيين، فوصفها كل منهم وصفاً على نهجه واسلو به، فقد زارها ناصر خسرو الفارسي ووصفها في كتابه (سفر نامه)[18] قائلا بأن ارض المدينة مبلطة بالبلاط الحجري، وانها قد ردمت منخفضاتها وسو يت حتى صارت مسطحة، وقد ذكر معظم المعالم الهامة في المدينة و وصف اسوارها واسواقها حتى انه ذكر المقبرة التي توجد خارج باب الساهرة، وجدير بالذكر أن ناصر خسرو زار القدس في عهد الدولة الاخشيدية في أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي.

ونقف على وصف للمدينة في نفس هذه الفترة لابي اسحق الاصطخري في كتابه مسالك الممالك[19]، حيث يشير الى ان بيت المقدس في عهده (القرن ٤ هـ، ١٠ م) كانت على عهد الاخشيديين المدينة الثانية بعد الرملة في فلسطين، و يصف مقدسات المدينة، و يذكر انها ليس فيها ماء وان ارضها خصبة تشتهر بزراعة الزيتون واشجار الفاكهة والعنب والتين.

وفي اواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، استولى الفاطميون على فلسطين بما فيها القدس وقد انفصل الفاطميون منذ البداية عن الخلافة العباسية، ولقد اشتهر الفاطميون بعطفهم الشديد على المسحيين واليهود حتى انهم استعانوا بهم في ادارة شؤون الحكم، غير أن هذا التعاطف لم يكن مستمراً فقد كان متقلباً بين الزيادة والنقص حسب الظروف او الحاكم، حتى أن الحاكم بأمر الله الفاطمي هم بهدم كنيسة القيامة، لما تناهى اليه عن تعاظم امر المسيحيين واحتفالاتهم التي اعتبرها مخالفة للدين[20]

و يصف المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)[21] وصفاً مفصلا دقيقاً، بحيث يحس القارىء لوصفه انه كأنما جلس على رأس جبل الزيتون وراح يشهد المدينة بكل دقائقها، بل انه تحدث عن مناخها وزراعاتها وفواكهها ومساجدها وكنائسها

واسواقها واحيائها، والضيع المحيطة بها، والمطلع في وصف المقدسي هذا، يستشعر أن المدينة كانت على درجة عالية من الازدهار والاستقرار في ايام الحكم الفاطمي.

وفي أواخر القرن الخامس الهجري أو اخر القرن الحادي عشر الميلادي تقوم دولة السلاجقة الا تراك، و يستولون على القدس من ايدي الفاطميين عام ٤٦٥ للهجرة ١٠٧٢ للميلاد. و يرجعونها الى سلطة الخلافة العباسية الاسمية، ومما يذكر أن الحكم السلجوقي كان يتأرجح بين اللين والقسوة وان غلبت قسوتهم على لينهم في حكمهم لسائر الاقاليم، و بخاصة ما فعلوه على فترات في بيت المقدس من اعمال النهب والقتل، ليس فقط ضد سكانها المسيحيين بل المسلمين ايضاً، وكثيراً ما ثار أهل المدينة على الحكام السلاجقة المسلمون والمسيحيون، ولكثرة ما عانوا من هذا الحكم فقد وصل الامر بالمسيحيين المقدسيين ان بكوا سلطان دولة الخلافة الاسلامية لما كان فيه من التسامح الذي نعموا به. و بقيت مدينة القدس في ظل الحكم السلجوقي حتى عام ٤٨٩ للهجره ١٠٩٥ للميلاد، حين عاود الفاطميون مهاجمتها من مصر واستردادها الى سلطان الدولة الفاطمية، واستمر الحال من الصراع بين الفاطميين والسلاجقة وقد استراح أهل المدينة في ظل هذه الاوضاع، الى أن حل وقت الحروب الصليبية عام ٤٩٣ للهجرة ١٠٩٩ للميلاد.[22]

إن الحروب الصليبية (*) التي شنتها على الشرق أخلاط بشرية متنوعة المضارب والمشارب والرتب من أورو با، قد سميت بهذا الاسم استغلالا سيئاً للغاية للصليب، حين اظهرت هذه الحروب على انها ذات طابع ديني، وابطنت اهدافاً حقيقية كثيرة مادية ومعنو ية، لا يتسع المقام لتتبعها.

تذكر المصادر العر بية احداثاً رهيبة احدثها الفرنجة حين احتلوا بيت المقدس عام ٤٩٣ للهجرة، ١٠٩٩ للميلاد، فقد اعملوا القتل في أهلها اسبوعاً لم يفرقوا بين أحد منهم، كما انهم لم يراعوا حرمة

المقدسات فنهبوا وخربوا واقترفوا الفظائع التي يدمي لها قلب كل بشر[٢٣]. وظلت المدينة تحت الحكم الصليبي الى أن خلصها الناصر صلاح الدين الايوبي بعد أن انتصر في معركة حطين عام ٥٨٣ للهجرة، ١١٨٧ للميلاد، وارتحل قاصداً بيت المقدس فتمكن من فتحها في نفس السنة يوم الجمعة ٢٧ من شهر رجب وفق ٣ تشرين الاول (اكتوبر).[٢٤]

على أنه جدير بالذكر ما كان من أحوال بيت المقدس ابان الحكم الصليبي فيها والذي استمر قرابة ٨٨ عاماً، انها ما عرفت الاستقرار ابداً فقد كان العرب المسلمون يهاجمونها في غارات مستمرة، كما انها تعرضت للهزات الارضية اكثر من مرة، فضلا عن القحط والجدب والجراد، مما دفع بالصليبيين الى عقد اجتماع في مدينة نابلس لحكام المدن وبطاركة الاديرة والكنائس، لبحث هذه الاوضاع السيئة المتردية امام هذه الازمات[٢٥]. ولعل هذا ما جعل اهل المدينة يرحبون بمقدم صلاح الدين فاتحاً المدينة، لما سمعوه من اخبار عدله وعظمة اخلاقه في معاملة الصليبيين بعد تغلبه عليهم، وتذكر لنا المصادر ما كان من حرصه على الالتزام بعهده لهم، انه لم يتدخل لمنعهم من اخذ نفائس الكنائس حين ارادوا الخروج رغم نصح وزيره العماد الاصفهاني بمنعهم لأن هذه النفائس ليست لهم بل ملكاً للكنائس كبيوت عبادة، فأبى التزاماً منه بالعهد الذي قطعه لهم على نفسه، ونذكر هذا بالنص على لسان العماد اذ يقول: «وكنسوا كنائسهم، وأخذوا منها نفائسهم، ونقلوا منها الذهبيات والفضيات من الاواني والقناديل، والحريريات والمذهبات من الستور والمناديل، ونفضوا الكنائس من الكنائن (*) واستخرجوا من الخزائن الدفائن، وجمع البطرك الكبير كل ما كان على القبر من صفائح التبر ومصوغات العسجد ومصنوعات اللجين، وجمع ما كان في قمامة من الجنسين والنسجين، فقلت للسلطان: هذه اموال وافرة، واحوال ظاهرة، تبلغ مائتي الف دينار، والامان على اموالهم لا اموال الكنائس والاديار، فلا تتركها في ايدي هؤلاء الفجار. فقال: اذا

تأولنا عليهم نسبونا الى الغدر، وهم جاهلون بسر هذا الامر. ونحن نجريهم على ظاهر الامان، ولا نتركهم يرمون اهل الايمان بنكث الايمان بل يتحدثون بما افضناه من الاحسان»[٢٦].

وجدير بالاشارة ان القدس لقيت من صلاح الدين واتباعه كل رعاية واهتمام هي وسكانها العرب مسلمين ومسيحيين، اذ كان فيها هؤلاء السكان اثناء الحكم الصليبي يحافظون على مظاهر حياتهم العامة وعاداتهم وتقاليدهم، ولم يتدخل الصليبيون في شيء من هذا حتى لغتهم العربية حافظوا عليها ولم يتحولوا عنها الى اللاتينية لغة الغزاة، وحين توطد الامر لصلاح الدين في المدينة، ابقى هؤلاء السكان على ما كانوا عليه من صالح الاعمال، وغير ما في احوالهم من الفساد، ثم قام باعمار الاسوار ورمم المسجد الاقصى وقبة الصخرة وبنى المساجد والمدارس والمستشفيات، واستمرت المدينة تنعم بالرخاء والعدل ابان حكم خلف صلاح الدين الى ان حل عصر الدولة المملوكية بعد ان قضى المماليك على الدولة الايوبية عام ٦٤٨ للهجرة، ١٢٥٠ للميلاد.

ان ما يميز فترة الحكم المملوكي في القدس، المؤسسات والانشاءات الكثيرة التي كان يتبارى سلاطينهم في انشائها داخل المدينة، فقد حظي المسجد الاقصى بالكثير من اصلاحاتهم واضافاتهم فيه، ويخلد ذلك الكثير من النقوش التي تنتشر في جنبات الحرم، بالاضافة الى ذلك فقد انشأوا المدارس والمستشفيات وقنوات المياه، ويحدثنا بما أنشأه المماليك في القدس مجير الدين الحنبلي باسلوب مفصل مسهب[٢٧]. ثم ان المماليك اعطوا السكان حريات كثيرة وفتحوا ابواب المدينة لمن يرغب في الاقامة فيها من سائر الملل وخاصة اليهود، الذين تكاثروا في المدينة امام تسامح المماليك وزاد عددهم، بل انهم انشأوا لانفسهم تنظيما خاصا يفرض على افراد طائفتهم اتاوه تدفع لصالح الجماعة، وتوقع العقوبة على من يمتنع عن الدفع، وفي هذا الصدد يحدثنا استاذنا الدكتور حسن

ظاظا حكاية حدثت في عهد السلطان الملك الاشرف قايتباي من المماليك البرجيه (٨٧٣ هـ، ١٤٦٨م ـ ٩٠٢ هـ، ١٤٩٦)، ان احد افراد الطائفة اليهودية رفض دفع ما عليه، وحين هدده زعماء اليهود بالعقوبة، أعلن اسلامه، ثم تبعته امه وأوقفت بيتها الواقع في حي اليهود ليكون مسجدا للمسلمين، وكان مجاورا للكنيس، فلجأ المسلمون عام ٨٨٠ للهجرة، ١٤٧٥ للميلاد الى المحكمة الشرعية في القدس يطلبون اجلاء اليهود وكنيسهم من حول المسجد الاسلامي، واصدرت المحكمة حكمها لصالح المسلمين، و بانتظار تصديق هذا الحكم من القاهرة، قام المسلمون ببعض اعمال الهدم والازالة في كنيس اليهود والمنازل المجاورة، غير ان السلطات العليا في القاهرة كفت الحكم وافتت بجواز وجود مسجد اسلامي في حارة اليهود والى جوار معبدهم، وامرت باعادة بناء ما هدم على نفقة المسلمين وقد حدث، هذه الحكاية اوردها استاذنا نقلا عن رسالة الحبر اليهودي عوبديادي برطينور وقد كان معاصرا لهذا الحدث في مدينة القدس[٢٨].

ان هذه الحكاية تعتبر دليلا لما اشرنا اليه من تسامح المماليك وعمالهم في مدينة القدس اتجاه الطوائف غير المسلمة في المدينة. واستمرت حال المدينة في ازدهار ورخاء الى ان انتهى حكم المماليك وحل عصر الدولة العثمانية اعتبارا من عام ٩٢٣ للهجرة، ١٥١٧ للميلاد.

لقد احتل السلطان سليم العثماني مدينة القدس دون قتال، وهو متجه في طريقه الى مصر ليضع الحد النهائي لدولة المماليك هناك، اي انه لم يمكث في القدس طويلا، بل انه أقام فيها وقتا لا يتجاوز زيارة الاماكن المقدسة والاجتماع بالاهالي وزعماء المناطق المجاورة من المدن والقرى كصفد ونابلس والخليل وغيرها. ولعل السلطان الوحيد من الدولة العثمانية الذي اولى مدينة القدس اهتمامه، هو السلطان سليمان الاول الذي عرف بالقانوني، والذي جدد اعمار

اسوار المدينة التي ما زالت على الصورة التي نعرفها اليوم، كما انشأ البرك والسبل وجدد القلعة، كما اولى اهتماما خاصا بالمسجد الاقصى، فرمم مسجد الصخرة المشرفة ورمم المسجد الجامع، بل انه وضع القاشاني الذي ما زال قائما في بناء مسجد الصخرة الى يومنا هذا. ومن بعده تتوالى الاحداث على المدينة المقدسة في عهد الدولة العثمانية، كغيرها من المدن في بلادنا، غير انها تعرضت للحكم المصري اثناء و بعد حملة ابراهيم باشا على الشام، التي بدأت عام ١٢٤٧ للهجرة، ١٨٣١ للميلاد واستمرت عشر سنوات، كانت كلها مليئة بالثورات ضد جيشه والحروب بينه و بين اهالي البلاد والجيش التركي، فضلا عن الاوبئة واعمال النهب والسلب و الفوضى، وما كان في مدينة القدس من اعمال الاعمار في عهد ابراهيم باشا، فانه لا يذكر، ولعل ثورة السكان المسلمين ضد ابراهيم باشا، ادت الى التقارب بينه و بين السكان المسيحيين واليهود في المدينة، حتى انه كان يشاركهم بعض احتفالاتهم في كنائسهم، والغى الكثير من الاجراءات التي كانت سائدة ضدهم، غير انه رفض طلب اليهود في شراء الاراضي والعمل في الزراعة.

واستمرت الحال بالنسبة لمدينة القدس تحت الحكم التركي العثماني بعد انتهاء فترة ابراهيم باشا، في احوال متقلبة، تميزت بتنافس الدول الغربية على ابراز وجودها في مدينة القدس، من خلال انشطة قناصلها، وانشاء الجمعيات والمستشفيات والمدارس وارسال الارساليات، وقد شجع على ذلك ضعف الحكومة التركية، وهكذا فقد حل عام ١٣٣٣ للهجرة، ١٩١٤ للميلاد فاعلنت الحرب العالمية الاولى، التي دخلتها تركيا وانهزمت، ليتحول امر بلادنا الى الاستعمار الحديث، فتخضع المدينة وسائر فلسطين للاحتلال البريطاني، ليدخل اهلنا في حرب جديدة ضد الاحتلال البريطاني من ناحية والمطامع الصهيونية من ناحية اخرى، الى ان حل عام ١٣٤٨ للهجرة، ١٩٤٨ للميلاد، حيث انتهى عهد الانجليز وضاع ما ضاع من فلسطين. وسلمت القدس من الضياع الى ان صار احتلالها

من قبل اسرائيل عام ١٣٨٧ للهجرة، ١٩٦٧ للميلاد، وما زالت الى الان.

لعلنا بما مضى من القول، قد سرنا مع المدينة رحلتها التاريخية عبر الزمن، منذ نشأتها والى يومنا هذا، تلك الرحلة التي حددت عمر المدينة بما يقارب الاربعة الاف وخمسمائة عام، قضتها المدينة في تقلب من الاحوال والظروف التي لم تعرف الاستقرار والثبات على وجه، وفي كل حال تحل او ضائقة تتحكم بها، يأتي فرج الله على مدينته، فيزيل غمتها و يمحو كربتها، وان غداً لناظره لقريب، غد يأذن فيه الله جل شأنه بخلاص، انه نعم المولى ونعم النصير.

شروحات ومراجع

١) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ٨٥.

٢) ايلياء، اسم مدينة القدس في عهد الرومان وقت الفتح الاسلامي وقد مر الحديث عليه.

٣) ابن ابي قحافة، هو ابو بكر رضي الله عنه.

٤) المهاجرون: الذين هاجروا من مكة الى المدينة مع النبي، والانصار: اهل المدينة الذي نصروا النبي صلى الله عليه وسلم، وهئلاء وأولئك اشتركوا في غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة سنة ٦٢٣ للميلاد.

٥) آية ٧٣ من سورة الانبياء. هذه الوصية اوردها الاستاذ عارف العارف في كتابه المفصل في تاريخ القدس، ص ٨٥ و ٨٦ نقلا عن الواقدي في كتابه فتوح الشام.

٦) في اثناء معركة اليرموك انتقل الخليفة ابو بكر رضي الله عنه الى ربه وكان ذلك عام ١٣ للهجرة، عام ٦٣٤ للميلاد وتولى عمر بن الخطاب الخلافة.

٧) مجير الدين الحنبلي، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ح ١، ص ٢٥٣ وص ٢٥٤، وقد ورد هذا النص في كتب كثيرة من كتب العلماء والمسلمين ومنهم الطبري.

*) ورد في النص (مقيمها) و يبدو انه خطأ من التصحيف والصحيح سقيمها كما ذكرنا.

*) بريها: بريئها قلب الهمزة ياء وأدغم اليائين للتخفيف وهذا من عادة العرب في مثل هذا الموضع.

*) صلبهم: وردت صليبهم والفرد لا ينتقص فالاصل ان تكون الكلمة جمعا كما ذكرنا.

٨) د. حسن ظاظا، القدس، ص ٣٠

٩) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ٩٣

١٠) المرجع السابق

١١) الحنبلي، الانس الجليل، ح ١ ، ص ٢٦٦

* لا نعرف اي هذه الابواب المقصودة مما نعرفه اليوم من ابواب القدس

١٢) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ١٠٦.

١٣) البحث، الفصل الرابع

١٤) الاية ٦٤ من سورة آل عمران.

١٥) الحنبلي، الانس الجليل، ح ١، ص ٢٧٢.

١٦) المرجع السابق، ص ٢٧٣

١٧) انظر: المرجع السابق، ص ٢٨١
وانظر: د. حسن ظاظا، القدس، ص ٣٠.
١٨) ناصر خسرو، سفر نامة، ترجمة يحي الخشاب (من الفارسية الى العربية) نشرت بمصر عام ١٩٤٥م.
١٩) ابو اسحق الاصطخري، مسالك الممالك، ص ٥٦ وما بعدها.
٢٠) الحنبلي، الانس الجليل، ح ١، ص ٣٠٣.
٢١) المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص ١٦٥ وما يليها الى ص ١٨٢.
٢٢) عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص ١٤٢ ـ ١٤٤.
*) لقد اجمعت المصادر العربية القديمة المختلفة على تسمية هذه الحروب بالحروب الفرنجة وليس بالحروب الصليبية، و بخاصة اولئك المؤرخين العرب المعاصرين لهذه الحروب، وربما كان السبب لصنيعهم هذا انهم كان على معرفة وقناعة تامة ان الصليب كشعار لهؤلاء الناس انما كان شعارا اريد به من الأهداف غير ما اظهر، فتنزيها للصليب كشعار وذكرى مقدسة عند المسيحيين آثر المؤرخون المسلمون ترفيعه عن الذكر في هذه الحروب مؤثرين استعمال اسم الفرنجة كتعريف بهؤلاء القوم، ونعلم ان هذا الاسم (فرنجة) انما هو اسم لقبيلة جرمانية اشتركت كطرف من اطراف كثيرة متنوعة في هذه الحروب، لا يصلح ان يعمم على كل من اشترك فيها من الناس، ولكن احتراما لوجهة نظر مؤرخينا الاوائل فاني ارى انه لا ضير في استمرار تعميمه كتعريف بهذه الحروب على نهج المؤرخين العرب المسلمين، على ان استعمال التعريف (الحروب الصليبية) من الناحية الاخرى، لا يشكل مظنا للغمز او الطعن في مسيحيينا من العرب لما ترسخ من المفهوم لهذا الاصطلاح كتعريف عالمي بهذه الحروب اليوم ورد عند الباحثين الغربيين اولا.
٢٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٥.
الحنبلي، الانس الجليل، ح ١، ص ٣٠٧، الذي يذكر تاريخ سيطرة الفرنج على القدس.
٢٤) المرجعين السابقين.
٢٥) سعيد البشاوي، مدينة نابلس ودورها في الصراع الاسلامي الصليبي، ص ١١٥، ١١٦ (رسالة ماجستير غير مطبوعة في جامعة الاسكندرية، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ للميلاد)
*) الكنائن: جمع مفرده كنين، وهو كل ما اخفي وخبىء عن الانظار من كل غال نفيس.
٢٦) العماد الاصفهاني، الفتح القدسي، ص ١٣٥.
٢٧) الحنبلي، الانس الجليل، الجزء الثاني اكثر من موضع.
٢٨) د. حسن ظاظا، القدس، ص ٣٢.

القدس مدينة الله

ثبت من غير ادنى شك ان الساميين كافة كانوا مرتبطين ارتباطا مباشرا بالدين، اي انهم كانوا اهل عقيدة وتدين، بحيث يبدو ذلك بتأثير عظيم على سائر مناحي حياتهم المختلفة، ولا ريب في ذلك، فهم من سلالة نوح النبي الموحد، ذلك النبي الذي تحدثنا عنه الكتب المقدسة والقرآن الكريم، على انه دعا الى عبادة الاله الواحد الاعلى، وانه تبعه من قومه نفر قليل، فكانت قصة الطوفان، التي تعتبر بمثابة اعادة الخلق من جديد، هذه القصة التي تحدثنا بها النصوص البابلية الاشورية التي كشفت عنها البحوث الاثرية في ارض العراق، باسلوب لا يختلف كثيرا عن الاساليب التي تحدثنا بها الكتب المقدسة، مما لا مجال لتتبعه في هذا المقام، و يمكن الرجوع الى المصادر المختلفة التي تتحدث عنه[1]. غير ان من المفيد ان نورد جانبا من ذكر نوح عليه السلام في هذه النصوص فقد ورد في العهد القديم: «ورأى الرب ان شر الانسان قد كثر في الارض. وان كل تصور افكار قلبه انما هو شرير كل يوم، فحزن الرب انه عمل الانسان في الارض وتأسف في قلبه. فقال الرب أمحو عن وجه الارض الانسان الذي خلقته. الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأني حزنت اني عملتهم. واما نوح فوجد نعمة في عيني الرب. هذه مواليد نوح. كان رجلا بارا كاملا في اجياله. وسار نوح مع الله وولد له ثلاثة بنين ساما وحاما و يافث. وفسدت الارض امام الله وامتلأت الارض

ظلما. ورأى الله الارض فاذا هي قد فسدت. اذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الارض. فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت امامي لأن الارض امتلأت ظلما منهم. فها انا مهلكهم مع الارض. اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر. تجعل الفلك مساكن وتطليه من داخل ومن خارج بالقار... فتدخل الفلك انت و بنوك وامرأتك ونساء بنيك معك. ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل الى الفلك لاستبقائها معك. تكون ذكرا وانثى.... وتعاظمت المياه وتكاثرت جدا على الارض فكان الفلك يسير على وجه المياه... فمات كل ذي جسد كان يدب على الارض... كل ما في انفه نسمة روح حياه من كل ما في اليابسة مات... وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط[٢]». و يقول الله تعالى في نوح عليه السلام: «قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين». «واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون. واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في اللذين ظلموا انهم مغرقون. و يصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون. فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و يحل عليه عذاب مقيم. حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل»[٣].

وتدل النصوص على ان الناس قبل نوح كانوا مفسدين كافرين بالله الذي كان يعبد في الارض منذ عهد آدم و بعده، فعبدوا الاصنام وخرجوا على دين الحق حتى جاءهم نوح على السلام، و يشير النص القرآني صراحة الى هذا بقوله تعالى: «قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا. ومكروا مكرا كبارا. وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعاً ولا يغوث و يعوق ونسرا. وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين الا ضلالا. مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا. وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا. انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفارا»[٤].

ان هذا النص القرآني يدل على ان الله معروف قبل نوح على السلام وله عباده المخلصين، والى جانبهم يوجد كفار ومشركون. مما كان مبرراً في ارسال الرسل والانبياء من حين لآخر، لرد الناس الى نهج العبادة الصحيح الى عقيدة التوحيد، بل ان الحال بالنسبة للكافرين كان في الكثير من الاحيان، بان يعبدوا آلهة يتخذونها زلفى لله يتقربون بها اليه، وهذا ما وردت الاشارة اليه في النص القرآني نفسه، اذ يقول تعالى: «انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فأعبد الله مخلصاً له الدين. ألا لله الدين الخالص واللذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار».[٥]

حقا لقد تكرست العبادة عندا الساميين بصورة عامة في عبادة اله واحد اعلى، واتخذت الهة صغرى مختلفة تتعلق طقوس عبادتها بمختلف وجوه الحياة، فأله للخصب واله للمطر والماء، واله للحرب وآخر للنار، واله للجمال، وآلهة للنجوم منها الشمس والقمر، وكل تدخل في نظام تدين موحد، يلقي ظلالا على عقيدة التوحيد العامة تلك العقيدة التي اختلف فيها الباحثون، بين موافق ومعارض في وجودها[٦] ولكن الذي ثبت من خلال نتائج الحفريات، وما عثر عليه من نقوش في بقاع مختلفة من بلاد الساميين، هو ان إلهاً عاما واحدا كان مسكنه في الاعالي، هو الذي كان محور العقيدة السامية، عرف بالاسم (ايل EL) ووصف بعلو المكانة والمنزله، ولعل هذا الوصف، يصلح سببا لتوجه الساميين بعامة الى السماء في مختلف ممارساتهم التعبدية. فكان يعبد هذا الاله في مختلف الاوساط والاوطان السامية، مع فوارق تخضع لأمزجة وطبائع كل قوم من هؤلاء الساميين، وذلك بأن تنحاز عبادة جماعة منهم الى الروحانية دون اخرى، كما هو الامر بالنسبة للبابليين الذين كان تعبدهم ميالا الى الروحانية اكثر من الكنعانيين مثلا[٧]. ثم نلاحظ ان احوال العبادة التوحيدية تتقلب بتقلب الاحوال والازمان، فنراها حينا يظهر نورها، وحينا آخر يخبوا و يضمحل. وذلك من خلال استقلال او ما يشبه

الاستقلال الديني، لكل وطن من اوطان الساميين، بل لكل مدينة من مدنهم، فكانت الآلهة المحلية في كل موقع، يعبد كل منها من قبل المتعبدين له، باسلوب يختلف شيئا ما عن عبادة ذلك الاله النظير من موقع آخر، حتى نرى الاسماء هي الاخرى، ينالها شيء من التحريف في حدود ما يتمشى مع العادات اللغوية لكل فرع من الفروع السامية. فعشتار هي عشتروت، وهي نفسها عثتر وعثتار، وهكذا....

لقد تقدمنا بهذا الحديث، على امل منا في بسط صورة لطبيعة العقيدة عند الساميين، التي كانت متنوعة الالهة المتعددة، والتي ترتبط كلها في نظام عام من العبادة التي ترتكز على عقيدة التوحيد، والتي تبتعد جذورها في التاريخ متجاوزة نوحا الى آدم عليه السلام، وان صح هذا الاعتقاد، فانى أرى ان دعوة اخناتون التوحيدية المصرية، لم تحدث الا بتأثير من عقيدة التوحيد السامية، هذا اذا اكدنا المراسلات والاتصالات بل الاتصال المباشر على جميع الاصعدة بين الممالك الكنعانية وخاصة مملكة القدس اليبوسية و بين مصر الفرعونية و بالذات في عهد اخناتون -كما سبق واشرنا- اقول هذا خلافا لما ذهب اليه الكثير من الباحثين المحدثين. في مذهب اعتبار دعوة اخناتون التوحيدية، اول دعوة للتوحيد في التاريخ، هذا الامر الذي سبق اليه الساميون بزمن بعيد كما قلنا.

ان من بين المدن السامية بعامة والكنعانية خاصة، كانت مدينة القدس، هذه المدينة التي كانت فيها عبادة محلية تختص بها، وتشارك في نهج العبادة الكنعانية الى جانب غيرها من المدن، و يبدو ان المدينة في اصل العبادة الكنعانية قد اختصت منذ البداية، كموطن لعبادة اله النار او ممارسة الطقوس المختصة بتقديس النار المرعبة، التي اثرت على نفوس المتعبدين الكنعانيين، مما اثر تأثيرا مباشرا على سمعة المدينة ومعرفتها بمدينة النار المرعبة في بدء نشأتها، فقد ورد ذكر للمدينة في وثائق تل العمارنة باسم (بيت

نينورتا)[٨]، هذا الاسم الذي تتضح ابعاده اكثر اذا علمنا ان موقع اله النار الكنعاني (مولك) كان في جنباتها، و بالتحديد في الوادي الجنوبي الملازم لها والذي نعرفه بوادي جهنم وقد مر ذكره.

وعن وصف صنم هذا الاله، نذكر انه كان يصنع من النحاس على هيئة جسد انساني له رأس عجل يطوقه اكليل، و يجلس على مقعد مادا ذراعيه، وكان الصنم والمقعد مجوفين، وتبدأ الطقوس بايقاد النيران في تجويف الصنم حتى يحمر، فيؤتى بالضحية التى غالبا ما تكون من الاطفال والبكور منهم، فتوضع على الذراعين لتحترق، وفي اثناء ذلك يبدأ المصطفون حول الصنم بالصياح مرنمين، وقارعو الطبول يرجفون الاسماع باصوات طبولهم، ليختلط صراخ الضحية بهذا الضجيج ولا يسمع. ان التضحيات البشرية كانت منتشرة عند الساميين و بخاصة عند الكنعانيين، وتجدر الاشارة الى ان مثل هذا الاله كان يعبد عند قبائل مختلفة ومواقع غير القدس وان اختلفت الاسماء والاماكن، و يبدو ان الاسرائيليين حين جاءوا الى ارض فلسطين قد تأثروا بها، بل ومارسوها، كما يذكر سفر ارميا غضب الرب عليهم لانحيازهم عنه واقبالهم على عبادة الهة الكنعانيين ومنهم بعل ومولك وها هو يقول: «من اجل كل شر بني اسرائيل و بني يهوذا الذي عملوه ليغيظوني به هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وانبياؤهم ورجال يهوذا وسكان اورشليم. وقد حولوا لي القفا لا الوجه وقد علمتهم مبكراً ومعلماً ولكنهم لم يسمعوا ليقبلوا أدباً. بل وضعوا مكروهاتهم في البيت الذي دعي باسمي لينجسوه. و بنوا المرتفعات للبعل التي في وادي ابن هنم ليجيزوا بنيهم و بناتهم في النار لمولك الامر الذي لم اوصهم به ولا صعد على قلبي ليعملوا هذا الرجس ليجعلوا يهوذا يخطىء[٩]».

ان اسم هذا الاله مولك، والذي يدل على معنى الملكية، ومن خلال طقوس عبادته القاسية، التي تصل الى حد احراق الابناء الذكور والاناث في النار احياء تدل على ان المرجو من وراء هذه

الطقوس، لا بد وان يكون من الامور العظيمة التي يتوجه المتعبد من اجلها لله ان تتحقق، وهذه العادات القاسية التي استعاض عنها المتعبدون من بعد بالاكتفاء بنزف الدم البشري عند الساميين، وتبلورت فيما بعد بعملية الختان، تلك العملية التي ابرزها الدين الاسرائيلي كرمز لعهد الله لابراهيم[10]. ولما كانت هذه العبادة قد مورست في اوساط واماكن مختلفة لدى الساميين، فقد اجمع الباحثون على انها كانت رمزا للتضحية من اجل عبادة ملك السماء[11]، الذي عرف عند الساميين بالاسم (ايل EL).

و يفزع المتعبدون لهذا الاله من قسوته وفداحة التضحية التي تبذل لارضائه، فيفرون منه بعد الفراغ من عبادته في وادي جهنم، ليصعدوا الى هضبة الالة شالم إله السلام والرحمة على رأس الجبل الذي نعرفه اليوم بجبل الاقصى. هذا الاله الذي تحدثنا المصادر عن مبدأ نشأته، بأنه قد عثر في وثائق رأس الشمرة على قصة مولد الهين اثنين توأمين الاول انثى واسمه (سحر) او (شحر)[12] وقد تمثل في نجمة الصباح المعروفة بالزهرة. والثاني كان التوأم شاليم الذي يفيض بالنور والسلام و يتحكم بهما طول النهار حتى ساعة الغروب. ولقد كان هذا الاله محموداً في اوساط المتعبدين حتى انه كان الهاً شعبياً لسكان القدس بخاصة وللكنعانيين عامة، فقد تأثروا به في تسمية ابنائهم وحكامهم، ومن ذلك اسم الملك المؤابي شلامانو (بمعني سلامنا) الذي حكم من عام (٧٤٣ ـ ٧٢٦ ق.م.)، بل يذكر كاتب مادة في معجم التوراة ان داود حين احتل المدينة كانت عبادة هذا الاله منتشرة بين اليبوسيين فتأثر في ذلك بتسمية ابنه سليمان (شلومو بمعنى سلامة).

وعلى اية حال، فقد كانت عبادة الله في هذه المدينة مكرسة في وضوح العبادة القصوى من التقرب المتطرف بالاصنام الى الله، فما اقسى عبادة مولك في قعر الوادي، وما ارق عبادة شالم على رأس الجبل، تلكما العبادتان اللتان امتحنت بهما المدينة دون غيرها من

مدن الارض تقربا الى الله الواحد العلي، هذه العبادة التي وجدها ابراهيم عليه السلام في المدينة يوم وفد عليها فارا بعقيدته ودينة من عنت بابل، فوجد القدسية والتفهم العقائدي لعقيدته في هذه المدينة التي اكرمته من خلال حاكمها، على غير ما لقيه في سائر المدن والمواقع التي وفد عليها في رحلته الطو يلة، وكأنه كان على موعد قدره الله بينه و بين نظيرله مماثل في الايمان بالله العلي في المدينة، مدينة شالم، وعلى انها ربما كانت المدينة الوحيدة في المنطقة التي بقي فيها اسم الله هو الاعلى على كل اسم، فهذا ملك المدينة ملكي صادق يخرج للقاء ابراهيم مرحبا به يقدم اليه الطعام والشراب، حين سمع بوصوله اكناف المدينة، وكأنه قد تلقى وحياً من الله ان يفعل هذا: «وملكي صادق ملك شالم أخرج خبزاً وخمراً وكان كاهناً لله العلي. و باركه وقال مبارك ابراهيم من الله العلي مالك السموات والارض[13]». وهكذا يدعو ملكي صادق الله ملك السموات والارض ان يبارك ابراهيم، و يقبل ابراهيم هذا الدعاء لانه يعلم ان الهه هو اله ذلك الرجل الذي باركه.

وتتواصل مظاهر قداسة المدينة منذ تلك العهود الى عهد الدعوة الموسو ية، مرتبطة بمظاهر العبادة التقليدية التي اشرنا اليها، وتترسخ عقائد فلكلورية بين اهلها تدور حول عقيدة الحياة الآخرة، من انها ستكون موضع الجنة والنار، وان الحساب سيكون في اكنافها، والجنة على رأس الجبل للمؤمنين والنار في قعر الوادي وادي جهنم. وتتدرج في التقديس بعد الدعوة الموسو ية لتكون محوراً لدعوات الانبياء، بل معبداً لله تنطلق منه الحناجر بالتسبيح والتقديس، حتى عهد عيسى عليه السلام، فبدأ منها دعوته وانتهى فيها صاعداً الى السماء بجوار ربه، و يأتي دور الدعوة المحمدية، التي شاء الله سبحانه لها ان تكون عالمية، متخذاً دليله على هذا الامر، بأخراج مظهر يعتبر من أهم معجزات دين الاسلام وهو الاسراء، باخراجه من مكة الحجاز مبدأ الدعوة المحمدية الى بيت المقدس، دليلا على ربط عالمية الاسلام باتصال ذلك المبدأ، بتلك

المدينة التي ارتضى لها منه قربى، فكانت مسرى لنبيه ومن ثم معراجاً الى اسباب السماء، بل حين شعر محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه المسلمون بالتحرج من تقبل البيت الحرام في صلاتهم والكعبة فيه تحف بها الاصنام، اوحى الله اليه بأن يتقبل قبلة يرضاها كانت بيت المقدس، جاعلا التقبل اليها في الصلاة بياناً للمسلمين العرب انهم على دين فاق اقطار موقعهم الى موقع آخر مقدس، كان فيه اناس من قبل يؤمنون بالله، منهم من ابقى على العهد ومنهم من غادره، ثم شاء الله العودة الى تقبل البيت الحرام في مكه بعد أن ضرب المثل، ولنقرأ النص القرآني من قوله تعالى: «أم تقولون إن ابراهيم واسماعيل واسحق و يعقوب والاسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون . تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون. سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم. وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم. قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون».[١٤]

وهكذا، فان المدينة بقيت وسوف تبقى موطن القدسية الالهية، التي تدرجت معها منذ نشأتها والى أيامنا، تهوى افئدة الناس جميعاً اليها للعبادة لله، وان اقتتلوا وتصارعوا، فما يكون ذلك من اجل الدين وان حرصوا على الجهر بالتعلل به، وانما يكون ادعاء يقصد به غير ما يعلن، فيا ايها الانسان ارجع الى ربك، ولا تعلن غير ما تبطن، فكم من الامم جاءت وصنعت واعلت، ثم مضت تطو يها دروب

النسيان الا من أصلح العمل واخلص النوايا.

هذي هي مدينة القدس، مدينة الله، التي يتوجه للعبادة من عليها ابناء الديانات الثلاث، فلو سألت يهودياً يبكي امام حائط المبكى، لم تبكي؟ لأجابك: أبكي متضرعاً الى الله ان يرحم. ولو سألت مسيحياً لم تحج الى بيت المقدس؟ لأجابك: أحج الى موطن المسيح عليه السلام كي احظى برضوان الله. ولو سألت مسلماً، لم تقدس هذه المدينة؟ لاجابك: انها اولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى محمد صلى الله عليه وسلم ومعراجه.

فالكل يلتقي في فحوى القول و يجمعون على قدسية هذه المدينة لله، وما دام الامر كذلك، فلماذا نرى ونسمع في ايامنا هذه الادعاءات بملكية المدينة او نسبتها لاشخاص كذا وكذا، بل لم نرى الاعتداءات على المقدسات بل الدعوات الى هدمها وخاصة المسجد الاقصى، مما نسمعه اليوم من بعض غلاة اليهود ومتعصبيهم، انهم يودون هدم هذا المسجد وأقامة هيكل سليمان مكانه، أظنهم يعلمون ان هذا الهيكل انما هو اثر دنيوي زائل زال كمن بناه، وقامت هياكل اخرى مكانه يهودية وغير يهودية كما اشرنا، واين هي الآن؟ لقد زالت هي الاخرى كما زال بناتها، فلا خلود للبشر ولا لآثارهم، انما الخلود لله ومقدساته جل شأنه. ثم اني استميح العذر اذ أقول: إن هؤلاء الغلاة من المتعصبين يوم يبكون لا يبكون لله أن يرحم كما يقول اولئك الطيبون، وانم يبكون مجداً ضاع، مجداً دنيو ياً محضاً لا علاقة له بالدين ولا بالله تعالى، فكل شيء لا يقصد به وجه الله لا بد خاسر، والدين دائماً لله، هو ربي عليه توكلت واليه انيب وحسبي الله ونعمه الوكيل.

شروحات ومراجع

١) يونس عمرو، الاسرائيليات الخاصة بموسى في التراث الاسلامي (رسالة ماجستير غير مطبوعة في جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٣ م.) ص ١٢٢ وما بعدها.
٢) سفر التكوين، من الاصحاح السادس.
٣) سورة هود، الايات ٣٢ ، ٣٦ ـ ٤٠
٤) سورة نوح، الايات ٢١ ـ ٢٧.
٥) سورة الزمر، الايات ٢ و٣.
٦) موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة د. يعقوب بكر، ص ٥٧.
٧) The Interpreters Dictionary of the Bible Item (Baal).
٨) H. Smith, Man and his Gods, 58
ـ لقد سبق حديثنا على تحليل هذا الاسم.
٩) سفر ارميا، ٣٢ ـ ٣٥
١٠) H. Smith, Man and his Gods, P.P.101 ـ 108
١١) The Interpreteis Dictionary of the Bible, Item (Molech)
١٢) هي الكلمة الدالة على وقت السحر صباحا في اللغات السامية، العربية وغيرها.
١٢) سفر التكوين: ١٨، ١٩.
١٤) سورة البقرة، الايات: ١٤١ ـ ١٤٤

المصادر

كتب بالعربيه:

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس (بالعربية والعبرية).
- ابن الاثير: الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٥م.
- الاصطخري، ابو اسحق: مسالك الممالك، نشر دي جو يه، ليدن ١٨٧٢م.
- الاصفهاني، العماد: الفتح القدسي، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر.
- البيشاوى، سعيد: مدينة نابلس ودورها في الصراع الاسلامي الصليبي (رسالة ماجستير غير مطبوعة في جامعة الاسكندرية ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).
- الحنبلي،مجير الدين: الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، دار الجيل، بيروت -لبنان ١٩٧٣م.
- خسرو، ناصر: سفر نامه، نقله من الفارسية د. يحي الخشاب، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة، مصر ١٣٦٤هـ-١٩٤٥م.
- خنفر، خلقي (دكتور): تاريخ الدعوة في حياة الرسول، دار الحسن للطباعة والنشر، الخليل ١٤٠٥هـ-١٩٨٥.
- ظاظا، حسن (دكتور): الساميون ولغاتهم، مطبعة المصري، الاسكندريه ١٩٧١م.
- ظاظا، حسن (دكتور): الفكر الديني الاسرائيلي (أطواره ومذاهبه) معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٧١م.
- ظاظا، حسن (دكتور): القدس، مطبعة جامعة الاسكندرية، الاسكندرية ١٩٧٠.
- العارف، عارف: المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، القدس ١٣٨٠هـ-١٩٧١م.
- عمرو، يونس (دكتور): خليل الرحمن العربية، دار القلم، رام الله ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

- عمرو، يونس (دكتور): الاسرائيليات الخاصة بموسى في التراث الاسلامي (رسالة ماجستير غير مطبوعة في جامعة الاسكندرية ١٩٧٣).
- عمرو، يونس (دكتور): لمحات في فقه اللغة العربية (تحت الطبع).
- المقدسي، ابو عبدالله محمد شمس الدين: أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، نشره دي جو يه، ليدن ١٩٠٦م.
- موسكاتي، سباتينو: الحضارات السامية القديمة، ترجمة د. السيد يعقوب بكر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.
- الواقدي، ابو عبدالله محمد بن عمر: فتوح الشام، كلكته ١٢٧١هـ-١٨٥٤م.
- ولفنسون، اسرائيل: تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت -لبنان.

قواميس ومعاجم

- ابن فارس، احمد: معجم مقاييس اللغة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٦٩م.
- ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م.
- الفيروز ابادي، مجد الدين محمد: القاموس المحيط دار الجيل، بيروت -لبنان.
- قوجمان، يحزقال: قاموس عبري -عربي، تل ابيب ١٩٧٠م.
- كوستاز، الاب لويس: قاموس سرياني عربي، بيروت
- هنداوي، محمد موسى (دكتور): المعجم في اللغة الفارسيه، مكتبة الانجلو ودار مطابع الشعب، القاهره.

كتب اجنبية

- Encyclopedia Biblica, Adam and Charles Black, London.
- The Encyclopedia of the Bible, Prentice - Hall, New Jersey, U.S.A. 1965
- Frazer, J. : Folk Lore in the O.T., Macmillan, London, 1923.
- Grayzel, S. : A History of the Jews, The Jewish Publication Society of America, U.S.A. 1968.
- Hammond, Ph. : The Ancient Hebron The City of David, The Natural History Magazin, U.S.A. 1966
- Issacs, J. : Our People, History of the Jews, New York, U.S.A. 1955
- Smith, G.A. : the Historical Geography of the Holy Land, P.O.B. Jerusalem
- Smith, H. : Man and his Gods, Grosset's Universal Library, New York, 1956.
- Hollis, C. : Holly Places, New York, U.S.A. 1969
- A Hebrew and English Lexicon of the O.T., W. Gesenius, Oxford University Press, London 1972.
- The Interpreter's Dictionary of the Bible, New York, Abingdon Press, 1962.
- The New Englishman's Hebrew and Chaldee Concodannce, Associated Publishers, Wilmington, 1975

שמואל ספראי: עם ישראל בימי הבית השני.הוצאת ספרית עם עובד, תל-אביב, 1970

אבן שושן, אברהם: המלון המרכז.

الفهارس

فهرس الاعلام (*)

-ا-

آدم: ١١٤، ١١٦.
آرام والآراميون: ١٠، ٤٧.
آرونا: ٦٩.
آشور والآشوريون: ١٠، ١٢، ٣٠، ٣٤، ٣٥، ٥٦، ٦٢، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٤.
ابراهيم: ٧، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٦٤، ٨١، ٨٩، ١١٨، ١١٩، ١٢٠.
ابراهيم باشا: ١٠٩.
ابشالوم: ٥، ٣٣.
ابن رمليا: ٣٤.
ابو بكر وابن ابي قحافة: ٩٤، ٩٥.
ابو عبيدة: ٩٥، ٩٦.
ابيفانوس: ٢٧.
ابيمالك: ٢٧، ٢٨.
الاتراك العثمانيون: ١٠٣
الاخشيديون: ١٠٤.
اخناتون: ٥٥، ٥٦، ١١٦.
ادوني صادق: ٦٥.
ارتحشستا: ٧١.
ارفكشاذ: ١٠.

(*) رتبت الاعلام حسب الاسماء والالقاب الاول فالتالي.

اركولفوس: ١٠٠.
ارميا: ٢٣، ١١٧
اريسطوبولس: ٧٤، ٧٥.
أسامة: ٩٤.
اسحق: ٢٨، ٢٩، ٨١، ١٢٠.
اسرائيل والاسرائيليون و بنو اسرائيل: ١٢، ١٣، ١٨، ٢٢، ٣٥، ٤٠، ٥٨، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٨٢، ١١٠، ١١٧.
الاسراء: ٨٨، ٨٩، ١١٩.
الاسكندر: ٢٧، ٥٧، ٧٢، ٧٣.
الاسلام والدعوة الاسلامية: ٦، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٣، ١١٩.
اسماعيل: ٢٩، ٨١، ١٢٠.
اشعيا: ٣٤، ٣٧، ٥٨.
انطاكية: ٧٩.
انطيوخوس: ٢٧.
اغريبا الاول: ٦
الاله جوبيتر: ٨١.
الاله سواع: ١١٤.
الاله شالم: ٥٠، ٥٦، ٥٧، ٦٣، ١١٨.
الاله نسر: ١١٤.
الاله ود: ١١٤.
الاله يعوق: ١١٤
الاله يغوث: ١١٤.
الالهة سحر: ١١٨.
الاموريون: ٤٨.
امينوفيس (فرعون): ٥٥، ٥٦.
الانجليز: ١٠٩.
الانجيل: ٨٤.
ايليوس هدريان: ٦

-ب-

البابليون: ٤٧.
بختنصر: ٧٠.
بركوخبا: ٨٠.
بطليموس والبطالمة: ٧٣.
بعل: ٦٧، ١١٧.
بنو امية: ١٠٠.
بنو عابر: ١٠.
بنو عمون والعمونيون: ٢٣.
بنيامين: ٦٦.
بومبي: ٧٤، ٧٥.
البيزنطيون: ٨٧.
بيلاطس: ٨٠.

-ت-

تارح: ٥١.
التلمود: ١٨.
التوراة: ٧، ١١، ٢٧، ٢٨.
تيتوس: ٨٠، ٨١.

-ح-

الحاكم بأمر الله الفاطمي: ١٠٤.
حام والحاميون: ١٠، ١١، ٤٧، ١١٣.
الحروب الصليبية والصليبيون: ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧.
حزقيا: ٣٤.
الحشمونيون: ٣١.
الحيثيون: ٥٦.

-خ-

خالد بن الوليد: ٩٧.

-د-

داود: ٥، ٦، ٧، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٣١، ٣٥، ٣٨، ٥٤، ٥٨، ٦٢، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٨٣، ١١٨.
دبير: ٦٥.
الدعوة المحمدية: ١١٩.

-ر-

الراشدون: ١٠٠، ١٠٣.
رحبعام: ٧٠.
الروم والرومان: ١٣، ٣٨، ٥٩، ٧٤، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩٧، ٩٨.

-ز-

زروبابل: ٧١.

-س-

ساره: ٢٨، ٥١.
سام والساميون: ١٠، ١١، ١٣، ٤٦، ٥٣، ٥٦، ٦٣، ٦٤، ٨٢، ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨.
السامريون: ٢٩.
السبي البابلي: ١١.

سرجون الثاني: ٧٠.
السلاجقة الاتراك: ١٠٥.
سلامة بن قيصر: ١٠٠.
السلطان سليم العثماني: ١٠٨.
السلطان سليمان القانوني: ٣٨، ٤٠، ١٠٨.
سليمان: ٧، ٢٢، ٢٣، ٣٥، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ١١٨، ١٢١.
سلوقس والسلوقيون: ٢٧، ٧٣، ٧٤.
سنحاريب: ٣٤، ٥٧، ٦٤.

-ش-

شاؤول: ٦٧، ٦٨.
شرحبيل بن حسنة: ٩٥.
شلامانو: ١١٨.
سيشنق: ٧٠.

-ص-

صادوق الكاهن: ٣٥.
صفرونيوس: ٩٦، ٩٩.
صلاح الدين الايوبي: ١٠٦، ١٠٧.
صموئيل النبي: ٦٧.
الصيدونيون: ٢٣.

-ط-

الطوفان: ١١٣.

-ع-

عابر والعبريون: ١٠، ١١، ٥٦.
العباسيون: ١٠٣.

عبد حيبا: ٥٦.
عبد الرحمن بن عوف: ٩٧.
عبد الملك: ١٠١، ١٠٣.
الغرب: ١٢، ٧٤، ٨٢، ٨٧، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١٠٦، ١٠٧، ١٢٠.
عزرا: ١١، ٧١.
عشتروت وعشتار وعثتار: ٢٣، ٦٧، ١١٦.
العماد الاصفهاني: ١٠٦.
عمر بن الخطاب: ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١.
عمرو بن العاص: ٩٥، ٩٧.
العهدة العمرية: ٩٦، ١٠١.
عوبديا برطلينور: ١٠٨.
عيسى المسيح او السيد المسيح او يسوع: ٦، ٧، ٢٠، ٢١، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩١، ١٠١، ١١٩، ١٢١.

- ف -

الفاطميون: ١٠٤، ١٠٥.
فرآم: ٦٥.
الفرس: ١٣، ٣٤، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٨٧، ٨٨.
فرعون: ٢٢.
االفرنجة: ١٠٥.
فسبازيان: ٨٠.
الفلسطينيون: ١٢، ١٣، ٦٢، ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٧٤.
فوط: ١٢.

- ق -

القرآن الكريم: ٧، ١٩، ٣٦، ٨٢، ٨٤، ٨٨، ٨٩، ٩٥، ١٠١، ١١٣.
قسطنطين: ٨٦.

- ك -

كلوديوس: ٨٠.
كموش: ٢٣.
كنعان والكنعانيون: ٧، ١٠، ١٣، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٦٢، ٦٧، ٧٢، ٧٣، ٧٩، ٩٩، ١١٦، ١١٧، ١١٨.
كورش: ٧٠.
كوش: ١٠.

- ل -

لود: ١٠.
لوط: ٥١.

- م -

المؤابيون: ٢٣
المجوسية: ٨٨
محمد النبي والرسول صلى الله عليه وسلم: ٧، ٩، ٨٨، ٨٩، ٩٤، ٩٧، ٩٩، ١٢٠، ١٢١.
مريم: ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٦.
المسلمون: ٨، ٢٣، ٢٧، ٢٩، ٣٣، ٤٠، ٩١، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١٢٠.
المسيح المنتظر: ٢٠، ٢١.
المسيحيون والمسيحية: ٢٠، ٣٢، ٣٦، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٩.
مصرايم: ١٠.
المصريون: ٦٢، ٧٠، ٧٢، ٧٤.
معاوية بن ابي سفيان: ٩٧، ١٠٠، ١٠١.

المعراج: ٨٨، ٨٩، ٩٩، ١٢٠.
المقدونيون: ٧٢.
المكابيون: ٧٣، ٧٥.
الملك الاشرف قايتباي: ١٠٨.
ملكي صادق: ٧، ٢٨، ١١٩.
المماليك: ١٠٧، ١٠٨.
موسى: ٧، ١٢، ٢٠، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٨٣، ٩٠.
مولك وملكوم: ٢٣، ٣٥، ٥٠، ٥٦، ٥٧، ١١٧.

-ن-

ناثان النبي: ٣٥.
نحميا: ٥٨، ٧١.
نخاو: ٧٠.
النصارى والنصرانية: ٨٢، ٩٨.
نوح: ٧، ١٠، ٢٨، ٦٣، ٨١، ١١٣، ١١٤، ١١٥.

-هـ-

هاران: ٥١.
هرقل: ٨٧، ٨٨.
الهكسوس: ٦٤.
هوهام: ٦٥.
هيرقانوس: ٧٤.
هيرودت: ٢٧، ٥٨.
هيرودس الادومي او الكبير: ٧٥، ٧٩.
ميلانة: ٨٦.

-و-

الوليد بن عبد الملك: ١٠١.

-ي-

يافث: ١٠، ١١٣.
يافيع: ٦٥.
اليبوسيون: ٦، ٢٤، ٣١، ٣٤، ٣٥، ٣٨، ٤٠، ٤٨، ٥٢، ٥٥، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٩٩، ١١٨.
اليرموك: ٩٦.
يزيد بن ابي سفيان: ٩٥.
يعقوب: ١١، ٦٤، ١٢٠.
اليهود او الشعب اليهودي: ٥، ٦، ١١، ١٣، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٤، ٢٦ ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٦، ٥٤، ٥٥، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٨٥، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٥، ٩٠، ٩٧، ٩٨، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١٢١.
يهوذا: ٧، ٦٥، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٨٣، ١١٧.
يوئيل: ٣٢.
يوسف: ٦٤.
يوسف النجار: ٨٣.
يوسيفيوس: ٢٠.
يوشع بن نون: ١٢، ٦٤، ٦٥، ٦٧.
يوليوس قيصر: ٧٥.
اليونان واليونانيون: ٢٧، ٣١، ٣٢، ٧٢، ٧٣، ٧٤.
يو ياكين: ٧٠.

فهرس الاماكن (*)

-أ-

الاردن والغور والوادي: ٩ ، ٢١، ٢٢، ٣٠، ٦٤.
ارض آشور: ٥٨.
ارض مؤاب: ٦٤.
اريحا: ٢٢، ٤٨، ٦٤، ٦٥.
أور: ٥١.
أوروبا: ١٠٥.

-ب-

بابل: ٢٥، ٧١، ١١٩.
باب الاسباط او باب السباع: ٣٣، ٤٠.
الباب الجديد او باب السلطان عبد الحميد: ٣٩.
باب حطة: ٣١.
باب الخليل او باب يافا او باب ابراهيم: ٢٧، ٣٩، ٨٠.
الباب الذهبي: ٤٠.
باب الزاهرة او الساهرة، او باب هيرودوس او ساحة الجيش: ٣١، ٤٠، ٤٠١.
باب العمود او باب دمشق او نابلس: ٣٩.
باب المغاربة او الصغير، او القمامة او الموتى: ٣٩.
باب النبي داود: ٣٩.

(*)رتبت اسماء الاماكن حسب الاسماء الاول فالاول فالتالي.

البانياس: ٩ .
البحر الابيض المتوسط او العظيم للشمس الغاربة، او المشرق: ٩، ١٢.
البحر الميت: ٩، ٢١، ٣٢.
بحيرة الحولة: ٩ .
بحيرة طبريا: ١٢.
بدر (ماء): ٩٥.
برج داود: ٧٩.
برج هيبيكوس: ٧٩.
برصين: ٣٤.
بركة السلطان، او جورة العناب، اوحقل الدماء: ٣٦، ٣٧.
البطريركية الارثوذكسية: ٩٨.
بلاد الساميين: ١٣، ٤٦.
بلاد الشام او ارض الشام: ٩، ١٠، ١٣، ٢٧، ٤٦، ٨٧، ٩٥، ٩٦، ٩٩، ١٠٩.
بلاد او ارض كنعان: ٩، ١٢، ٤٦، ٥١.
بيت لحم: ٢٢، ٨٢، ٨٣.
بيت ساحور: ٢٢.
بيتين او بيت ايل: ٦٣.
بيزيتا او بيت الزيت: ٣٠.
بيسان او بيت شآن: ٦٣.

-ت-

تبوك: ٩٤.
تركيا: ١٠٩.
تل أوفل: ٣٧.
تل العمارنة: ٥٥، ٥٦، ٦٤، ١١٦.

-ج-

جبال مؤاب: ٢١.
جبل أكر او صهيون: ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٨٢.
جبل بطن الهوا او الجبل الفاضح او المهلك او ها همشحيت: ٢٢، ٢٣.
جبل بيت المقدس، او الحرم او الاقصى او هضبة الحرم: ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٦، ٦٩، ٩٠، ٩٩، ١٠٠، ١١٨.
جبل حوريب او طور سيناء: ٢٢.
جبل حرزيم: ٢٤، ٢٩.
جبل رأس المشارف او سكوبس او هار هصوفيم (المراقبون): ٣٠.
جبل الزيتون او الطور: ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٣٠، ٣٢، ٨٥، ١٠٤.
جبل الكرمل: ١٢.
جبل المكبر: ٢٢.
جبعون: ٦٥.
جرار: ٢٧.
جرينتش: ١٨.
الجزيرة، الجزيرة العربية، ارض الجزيرة: ١٠، ١١، ١٣، ٤٦، ٧٢، ٨٧، ٨٩.
جزيرة كريت: ١٢.
الجثمانية: ٢٠.
الجليل: ٨٣.
الجمجمة او الجلجلة او الجلجثة: ٨٦، ٨٧.
جنين: ٦٣.
جهنم: ٣٦.
جيزر او تل الجزر: ٦٣.

-ح-

حائط البراق او المبكى: ٤٠.
حارة المغاربة: ٤٠.
الحجاز: ١١٩.
حديقة المعصرة او الجثمانية: ٢٠، ٣٣.
الحرم الابراهيمي: ٧٥.
الحرم النبوي: ٢٩.
حمص: ٨٨.
حواكير الضهور: ٣٧.

-خ-

خليج العقبة: ٩ .
الخليل او حبرون: ٧، ٢٥، ٣٣، ٤٨، ٦٣، ٦٥، ٧٥، ٨٠، ١٠٨.

-ر-

راس شمرة: ١١٨.
راس العمود: ٢٢.
الرملة: ١٢، ١٠٤.
روما: ٧٥، ٧٩، ٨١.

-س-

سدرة المنتهى: ٨٩.
سلوان: ٢٢، ٣٤، ٣٥.
سوريا: ٧٣، ٧٤، ٧٩، ٨٧.
سيناء: ١٢، ٢٧.

-ش-

شاليم: ٧.

-ص-

صفد: ١٠٨.
صور باهر: ٢٢.
صيدون: ٢٥.

-ع-

عاي: ٦٥.
عجلون: ٦٥.
العراق: ١٣، ١٥، ٥١، ٥٥، ٦٣، ٧٠، ١١٣.
عسقلان: ٦٣.
عقبة الصوان: ٣٠.
عيلام: ١٠.
عين جدي: ٢١
عين جيحون: ٣٤، ٣٥، ٣٦.
عين سلوان او شيلوة: ١٨، ٣٤.

-غ-

غزة: ٦٣.

-ف-

فحل: ٩٦.

فلسطين: ٩، ١٢، ١٨، ٢٨، ٢٩، ٣٩، ٤٦، ٥٠، ٥١، ٥٥، ٥٨، ٦٤، ٦٨، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨٧، ٩٨، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٩، ١١٧.

-ق-

القاهرة: ١٠٨.
قبر القاضي مجير الدين الحنبلي: ٣٣.
القبر المقدس: ٩١.
القشلة: ٢٧.
قلعة انطونيا: ٨٠.
قيسارية: ٧٩.

-ك-

الكعبة: ١٢٠.
كنيسة الجثمانية او سيدتنا مريم: ٣٣.
كنيسة القيامة او القمامه: ٣٩، ٨٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١٠٦.

-ل-

لبنان: ٩،
لخيش: ٦٥.
اللد: ١٢.

-م-

مؤتة: ٩٢.
مجدو او خرائب تل المتسلم: ٦٣.

المدينة المنورة: ٩١، ٩٦.
المسجد الاقصى او الحرم القدسي: ٧ ٢٧، ٢٩، ٤٠، ٨٨، ٨٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٩، ١٢٠، ١٢١.
المسجد الحرام او البيت العتيق او البيت الحرام او الحرم المكي: ٧، ٢٩، ٨٨، ٨٩، ١٢٠.
مسجد الصخرة المشرفة: ٢٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٩.
مصر: ١٣، ٢٠، ٤٧، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٦٣، ٦٤، ٦٧، ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٩٩، ١٠٣.
مصعدة: ٢١.
معبد اتون: ٥٦.
معبد جوبيتر: ١٠٠.
معبد الكابيتول: ٨١.
معركة حطين: ١٠٦.
مغارة المكفيلة: ٧٥.
مكة: ٨٩، ٩١، ١١٩، ١٢٠.
مقبرة المسلمين: ٤٠.
الموريا أوارض الموريا او جبل الموريا او الرب يرى: ٢٨، ٢٩، ٥٣.

-ن-

نابلس او شكيم: ٢٤، ٢٩، ٣٠، ٤٨، ٦٣، ٦٨، ١٠٦، ١٠٨.
الناصرة: ٨٣.
نبع العروب: ٨٠.
النقب او صحراء النقب: ١٢، ٢٧.

-هـ-

الهلال الخصيب: ٩،
الهيكل: ١٩.

-و-

وادي الارواح والعفاريت او الروفائيم: ٣٧.
وادي الجبانة او التربيون او القمامة او الموتى: ٢٤، ٣١، ٣٦، ٣٧، ٣٩.
وادي سلوان او جهنم او الربابة او النار او ابن هنم: ٢٢، ٢٤، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٥٠، ١١٧، ١١٨، ١١٩.
وادي قدرون او يهوشافاط او القضاء او ابشالوم: ٢٠، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٤٠.
وادي عربة: ٩

-ي-

يبوس: ٤٨، ٤٩، ٦٢.
يرموت: ٦٥.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
تصدير	٢
المقدمة	٥
(أ)	٥
(ب)	٩
الفصل الاول	
موقع المدينة	١٨ - ٤٣
أهم الجبال	١٩
جبل الزيتون	١٩
جبل بطن الهوا	٢٢
جبل اكرا او جبل صهيون	٢٤
جبل بيت المقدس	٢٧
جبل رأس المشارف	٣٠
أهم الاودية	٣١
وادي قدرون	٣٢
وادي سلوان او وادي الربابة كما هو معروف اليوم	٣٣
وادي الجبانة	٣٦
وادي الاوراح	٣٧

المدينة والاسوار ٣٧
باب العمود ٣٩
الباب الجديد ٣٩
باب الخليل ٣٩
باب النبي داود ٣٩
باب المغاربة ٣٩
باب الاسباط ٤٠
باب الزاهرة ٤٠

شروحات ومراجع ٤١

الفصل الثاني
اسماء المدينة ونشأتها وذكرها في النصوص ٤٦-٦١
تمهيد ٤٦
يبوس ٤٨
اورشليم ٤٩
القدس ٥٧
شروحات ومراجع ٦٠

الفصل الثالث
القدس وامم العالم القديم ٦٢-٧٨
المدينة وداود ٦٧.
شروحات ومراجع ٧٦

الفصل الرابع
القدس في العصر المسيحي ٧٩-٩٣
مولد السيد المسيح عليه السلام ٨١
الاسراء والمعراج ٨٨
القدس في العقيدة المسيحية ٩٠
شروحات ومراجع ٩٢

الفصل الخامس
القدس في العصور الاسلامية ٩٤-١١٢
بين يدي الفتح الاسلامي ٩٤
فتح المدينة ٩٦
شروحات ومراجع ١١١

القدس مدينة الله ١١٣-١٢٢
شروحات ومراجع ١٢٢
المصادر ١٢٣
كتب بالعربية ١٢٥
قواميس ومعاجم ١٢٦
كتب اجنبية ١٢٧

الفهارس
فهرس الاعلام ١٣١
فهرس الاماكن ١٤١
فهرس المحتويات ١٤٩